المقتطف

الجزء الثاني من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ فبراير سنة ١٩٤٧ — ١٩ ربيع أول سنة ١٣٦٦

مدرسة الاسكندرية

برنامج تدريس الطب بها إلى أواسط القرن السابع الميلادي
وانتقال حركة العلم إلى أنطاكية

إذا قلنا إنه كان لمدرسة الإسكندرية في العصر القديم برنامج للطب دُرِّس فيها واتخذ وسيلة إلى تخريج الأطباء ، فليس معنى ذلك أن نقول إنَّ هذا البرنامج قد وضع في أول العهد لتأسيس هذه المدرسة . ذلك بأن أساس هذه المدرسة قد تطوّر مع الزمن ، فكانت في أول أمرها مكتبة وضع نواتها بطلميوس الأول (بن لاغوس) ونمّاها وأوسع من أرجائها وأمدّها بمؤلفات العالم الأغريقي إبنه بطلميوس فيلادلفوس ، ومن حول هذه النواة تخرَّج علماء وفلاسفة ورياضيون وغراماطيقيون وشعراء نابهون ، كانوا البزرة التي فرخت منها تلك المدرسة العظيمة . ومن أعظم الذين نموا هذه البزرة الطيبة رجال ونساء من أشهر من انحدرت إلينا أسماؤهم من العالم القديم . ولنذكر بعضاً منهم على سبيل المثل لا على سبيل الحصر .

(١) اقليدس Euclid الرياضي وهو الذي جمع الحقائق الهندسية التي كانت مشتتة في حلقات الدرس الأغريقية ورتبها على أسلوب نظيم ، فجاء كتابه في مقالات لا تزال الى الآن موضع الاعجاب الجم .

ومن طرائف حياة هذا الرجل العظيم أن بطلميوس فيلادلفوس أراد أن يتعلم الرياضة ، فأخذ يحضر على إقليدس، ولكنه أنس في هذا العلم من الغموض والإستغلاق ما جعله يسأل أستاذه يوماً : ألا يوجد طريق أسهل لتلقي هذا العلم ، فقال له إقليدس بلا تلعثم : الطريق الممهود ليس طريق العلم .

(٢) ارسطارخوس : Aristarchus وهو الذي نقل التعاليم الفيثاغورية الى مدرسة الاسكندرية، وبخاصة القول بدوران الأرض من حول الشمس ، واشتغل بتعيين بُعد الشمس عن الأرض ، فوقع كذلك على طريقة رياضية كانت موضع الدرس والبحث قرون عديدة .

(٣) إراطوسْثانس Eratosthenes وهو رياضي وفلكي ، وهو أول واضع للطريقة المعروفة في كتب الحساب لإيجاد الأعداد الأولية ، وحل المسألة الرياضية المعروفة بتضعيف المكعَّب ، واخترع الكرة الصناعية التي تمثل دورة الأفلاك ، وعين ميل دائرة البروج على خط الاستواء ، وعين بالتقريب حجم الأرض بواسطة الشمس في بئر بأصوان بصعيد مصر .

(٤) أفولُونيوس Apollonius ولو لم يكتب هذا الرجل غير ما كتب في القطوع المخروطية لكفى بذلك شاهداً على نبوغه وعبقريته . وقد ترجم هذا الكتاب في عصر المأمون. ثم علقت عليه الشروح والحواشي الكثيرة . ومما يتضمنه هذا الكتاب بحوث في الخطوط الاهليلجية والهذلولية أي المخروطية الناقصة والزائدة ، وبعض مسائل في النهايات الكبرى والصغرى ، وكلامه فيما يسمى الآن المنتحيات المنتشرة حتى في مراكز الالتصاق .

(٥) ابَّرْخُوس : Hipparchus وكان من آثاره تقدم علم الهيئة ، إذ عين السنة الشمسية الحقيقية ، وحسب جداول لاختلاف الشمس ، واكتشف الاعتدالين : الربيعي والخريفي ، وطريقة تعيين مواقع البلدان والأماكن بخطوط الطول وخطوط العرض ، وقاس بعد القمر عن الأرض، وعمل الزيج المشهور للثوابت، ومنذ ظهور ابَّرْخُوس حتى ظهور المسيح ، لم يظهر في الشرق من عالم إلاَّ وكان من خريجي جامعة الاسكندرية .

(٦) جامينْيوس : Gaminius وهو الذي أرَّخ لعلم الفلك.

(٧) سوسيغانس : Sosigenes الذي أصلح حساب الوقت اليوليوسيّ

(٨) تيوذوروس : Theodorus مؤسس علم الهيئة الكروية .

(٩) بطلميوس الفلكي مؤلف كتاب « المجسطي » المعروف عند العرب ، وكان كثير من القدماء يعتقدون أنه آله . وكان كتابه هذا أساس علم الأمة العربية والأمم الأوربية بعلم الهيئة أربعة عشر قرناً طوالاً . وهو الذي وضع النظام المعروف باسمه أي النظام البطلميوسي ، وأول من صنع الخرائط الجغرافية بواسطة الاسقاطات ، وألف في الضوء وتكلم باسهاب عن انكساره ، كما ألف في الموسيقى والميخانيقا وغيرها من الفنون .

(١٠) ديوفانتوس : Diophantus : وهو واضع علم الجبر ، وعنه أخذ العرب .

(١١) تاون : Theon ، وكان فلكياً حسب خسوفاً للقمر في سنة ٣٦٥ ق. م. ولكن لم تعرف الطريقة التي اتبعها في ذلك ، وكان من شرّاح مقالات اقليدس والمجسطي بطريقة بذّ بها غيره من الشرّاح والمعلقين .

(١٢) هوپاشيا : Hypatia وهي أشهر النساء اللواتي يذكرهنّ التاريخ القديم ، نبغت في الرياضيات والفلسفة ، وقد درّست في مدرسة الاسكندرية ، فخلبت ببلاغتها السامعين . ولها مؤلفات كثيرة منها كتاب في علم الهيئة ، وشرح على كتاب ديوفانتوس ، وآخر على كتاب ابولّونيوس في القطوع المخروطية .

هذا ولم نذكر سلسلة طويلة من الغراماطيقيين والفلاسفة أمثال كلّيماخوس وهجسياس وطائفة من نوابغ مدينة « قورينة » هبطوا الاسكندرية وتعلموا وعلموا بها . ولا يفوتنا أن نقول في ختام هذا التمهيد إن جالينوس أبا الطب قد درس في أثينا أولاً ثم في الاسكندرية من بعد ذلك ، ثم ذهب الى فرغامون ، ثم الى رومية ، ومات سنة ٢٠٠ بعد الميلاد .

إذن نعرف من هذا أن الاسكندرية قد شهدت في مدى قرون عديدة سلسلة من العظماء في مختلف الفنون والعلوم أسسوا بها عظمة مدرستها الخالدة .

وقد يتضح لنا من بحث كتب الطبقات ان مدرسة الاسكندرية قد بلغت من النظام مبلغ الجامعات الحديثة ، سواء أمن ناحية وضع برامج الدرس العلمي والفلسفي ، أم من ناحية أسلوب البحث والدرس الأكاديمي الصحيح . فقد قام نظام الدرس في تلك الجامعة الفذة على أساس التعاون الكامل في التقصي العلمي بين جماعة من الاساتذة المبرزين تذرّبوا

أسلوب البحث العقلي ، وطلبة يعاونونهم على الاستمهاق فيه . ولا ريبة في أن هـذه الروح العلمية هى وراثة عن مدارس أثينا القديمة نقلها الأغارقة إلى عاصمة الدنيا الجديدة في العالم الإليني Hellenic منذ بداءة عصر الاسكندر المقدوني .

قال أبو الحسن علي بن رضوان في كتاب « المنافع » في كيفية تعليم صناعة الطب :

« وانما اقتصر الاسكندرانيون على الكتب الستة عشر من سائر كتب جالينوس ، في التعليم ليكون المشتغل بها إن كانت له قريحة جيـدة وهمة حسنة وحرص على التعليم ، فانه إذا نظر في هذه الكتب اشتاقت نفسه بما يرى فيها من عجيب حكمة جالينوس في الطب الى أن ينظر في باقي ما يجده منها . وكان ترتيبهم لهذه الكتب في سبع مراتب »(١) .

***

ولم أقف في خـلال بحوثي على برنامج كامل درس في عصر بعينـه من عصور مدرسة الاسكندرية . غير أن برنامج صناعة الطب في هـذه المدرسة يدلنا دلالة واضحة على ما بلغ نظام الدرس فيها من الرتابة والكمال وتنظيم المعلومات وتسلسل التلقي في درجات تسلم كل درجة منها الى الدرجة التي تليها . وقد نقول قياساً على هذا إن شأنهم في درس بقية العلوم لم تكن تنزل عن صناعة الطب نظاماً ورتابة ، فالفلسفة والرياضيات والآداب والميخانيقا ، من العلوم التي ازدهرت في مدرسة الاسكندرية ونشرت في جوانب العالم القديم نور المعرفة الصحيحة . بل اني لا أبالغ إذا قلت إن الفلسفة والرياضيات على الأخص علمـان قد نشآ في أثينا ، ونظما وازدهرا في الاسكندرية . وما بقية المدارس التي نشأت في حوض البحر المتوسط غير فروع وشعب نشأت من الدوحتين العظيمتين : أثينا أولاً ، والاسكندرية ثانياً .

ولا يسعني أن أدلك على صحة ما أذهب اليه الآن بشرح برنامج صناعة الطب في الاسكندرية ، لتعلم قياساً عليه ، انه كان لكل من العلوم الأخرى برامج مشابهة له ، وان حرية البحث كانت رائد الأساتذة وطلبة المتعلمين معاً ، وبرهاننا على ذلك حياة الفيلسوفة العظيمة هوباشيا ابنة ثاوُن الاسكندري ، وقد قتلت في الاسكندرية في ثورة من ثورات الدهماء في عهد انتشار النصرانية .

---

(١) طبقات الاطباء ص ١٠٥ ج ١

أسس صناعة الطب في الاسكندرية الحكيم جالينوص ، ولو لم يكن من أبنائها . هبط جالينوس الاسكندرية ، وظلّ بها زماناً لا ندري على التحقيق مداه . ولكن رجال المدرسة اتخذوا مؤلفاته أساساً لدرس صناعة الطب فهو أبو الطب في هذه المدرسة ، حيث كانت مؤلفاته أساس التعليم بها ، فقد أختيرت ستة عشر مقالة من مقالاته في هذه الصناعة قام عليها برنامج الدراسة ، وقسم البرنامج سبع مراحل يدرس في كل مرتبة منها كتبٌ معلومة من كتب جالينوس المختارة (١) ولا شك عندي في أن العرب نهلوا صناعة الطب عن الاسكندرية ، فقد كانت في العصر القديم مستقر هذه الصناعة ومنبعها الأول ومستقاها الخصب .

المرتبة الاولى

هي المدخل الى صناعة الطب . ومن يدرسها يمكنه أن يتعاطى أعمال الطب الجزئية ، ومنها يتدرّج من يريد التوسع الى المراتب التي تليها ، فاذا اقتصر عليها ، لم تخف عليه منافع علاج الأمراض . ويدرس في هذه المرتبة أربعة كتب :

(١) كتاب الفِرَق : وهو مقالة واحدة ، ويستفاد منه قوانين العلاج على رأي أصحاب التجربة ، وعلى رأي أصحاب القياس . « إذ كان بالتجربة والقياس ، يستخرج الناس جميع ما في الصنائع . وما اتفقا عليه هو الحق ، وما اختلفا فيه نُظِرَ ، فان كان طريقه القياس عمل على قوانين القياس فيه ، وان كان طريقه التجربة ، عمل على قوانين التجربة فيه »

(٢) كتاب الصناعة الصغيرة : يستفاد منها جملة صناعة الطب كلها نظريّاً وعمليّاً .

(٣) كتاب النبض الصغير : وهو مقالة واحدة ، يستفاد منه جميع ما يحتاج اليه المتعلم من الاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في الأمراض .

الكتاب المسمى باغلُوقَن : وهو مقالتان ، يستفاد منه كيفية التأتي في شفاء الأمراض ، ولأن من يتعاطى الأعمال الجزئية من الطب ، يضطر إلى معرفة قوى ما يحتاج إليه من الأغذية والأدوية ، والى أن يباشر بنفسه أعمال اليد من صناعة الطب ، ولزمه أن

---

(١) اعتمدنا في شرح هذا البرنامج على كتاب طبقات الاطباء ج ١ ص ١٠٦ الى ١٠٩ وربما استعملنا الفاظه وعباراته بنصها في بعض المواضع ، مع تحوير في الوضع يجعل المقصود أبين وأجلى

ينظر فيما تدعو إليه الحاجة من الكتب التي سماها جالينوس في آخر الصناعة الصغيرة ، أو يتعلم ما يحتاج إليه من ذلك تلقيناً ومشاهدة .

ويستدل من هذا على أن هذه المرتبة تتناول قوانين العلاج والصناعة نظريًّا وعمليًّا والاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في الأمراض والتشخيص والتمريض والأقرباذين العَمَلي إلى تركيب الأدوية والعقاقير . والكتب التي تدرس في هذه المرحلة « مقنعة للمتعلم في تعليم صناعة الطب . فأما الكامل ، فإنه يتذكر بها جميع ما فهمه من الصناعة » .

المرتبة الثانية

تدرس في أربع كتب :

(١) كتاب الأُسْطُقُسَّات : مقالة واحدة ، ويبحث في أن بدن الانسان وما يحتاج إليه سريع التغيير قابل للاستحالة . وهذه الأسطقسّات ضروب : منها أسطقسات البدن القريبة منه ، وهي الأعضاء المتشابهة الأجزاء ، كالعظام والأعصاب والشرايين والعروق والأغشية واللحم والشحم وغير ذلك . وهذه الأعضاء تتألف من أسطقسات هي الأخلاط الأربعة : الدم والصفراء والسوداء والبلغم . وهذه الأخلاط تتألف من أسطقسّات هي النار والهواء والماء والأرض . ومبدأ التكوين من هذه الأربعة ، والانحلال يقع عليها ، أو يصير إليها . وهذه الأسطقسات قابلة للتغير والاستحالة .

« وهذا الكتاب هو أول كتاب يصلح أن يبدأ به من أراد استكمال تعليم صناعة الطب » .

(٢) كتاب المِزَاج : ثلاث مقالات ، يدرس أصناف الأمزجة ، وما يتقدم به كل واحد منها وعما قد يستدل عليه إذا حدث .

(٣) كتاب القوى الطبيعية : ثلاث مقالات ، يدرس أصناف القوى التي تدبّر البدن وأسبابها ، والعلامات التي يستدل بها عليها .

(٤) كتاب التشريح الصغير : خمس مقالات . وكان جالينوس قد وضعها متفرقة ، ولكن أهل مدرسة الاسكندرية جمعوها وجعلوها كتاباً واحداً . ويستفاد منه معرفة

أعضاء البدن المتشابهة وعددها وجميع ما يحتاج إليه فيها ، ويتضمن فيما يتضمنه درس منافع الأعضاء .

المرتبة الثالثة

تدرس في كتاب واحد ، يتضمن ست مقالات كتبها جالينوس متفرقة ، وجمعها الاسكندريون في كتاب واحد ، ويدرس فيها علم معرفة الأمراض وأسبابها والأعراض الحادثة عن الأمراض . « وهذا باب عظيم الغناء في صناعة الطب على رأي أصحاب القياس » .

المرتبة الرابعة

تدرس في كتابين :

(١) كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة : ست مقالات ، يدرس فيها تعريف كل علة من العلل التي تحدث في الأعضاء الباطنة . « فان هذه الأعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لأنها خفية عن الحس ، فيحتاج الى ان يستدل عليها بعلامات تقوّم كل واحد منها ، فاذا ظهرت العلامات المقومة تيقن أن في العضو الفلاني علة كذا » .

(٢) كتاب النبض الكبير : أربعة أجزاء كل جزء أربع مقالات .

الجزء الأول : يستفاد منه : أصناف النبض وجزئيات كل صنف منها .

الجزء الثاني : يستفاد منه : تعريف إدراك كل واحد من أصناف النبض .

الجزء الثالث : يستفاد منه : تعريف أسباب النبض .

الجزء الرابع : يستفاد منه : تعريف منافع أصناف النبض .

« وهذا باب عظيم النفع في الاستدلال على الأمراض ومعرفة قواها ونسبتها الى البدن »

المرتبة الخامسة

تدرس في ثلاث كتب :

(١) كتاب الحـُمـَّيات : مقالتان ، يدرس فيه طبائع أصناف الحميات

(٢) كتاب البَـحـَر َان : ثلاث مقالات ، يدرس فيها معرفة أوقات المرض ، ليعطى في كل وقت منها ما يوافق فيه ، ومعرفة ما يؤول إليه الحال في كل واحد من الأمراض ، هل يؤول أمره إلى السلامة منه ، وكيف يكون ، وبماذا يكون ؟

(٣) كتاب أيام البَحران : ثلاث مقالات ، يدرس فيها معرفة أوقات البَحران ومعرفة الأيام التي يكون فيها ، وأسباب ذلك وعلاماته .

المرتبة السادسة

كتاب واحد ، هو كتاب حيلة البُرء : أربع عشرة مقالة ، يدرس فيه قوانين العلاج على رأي أصحاب القياس في كل واحد من الأمراض . وهذا الكتاب إذا نظر فيه الانسان اضطره الى النظر في كتاب الادوية المفردة ، وفي كتب جالينوس في الأدوية المركبة ، أعني « قاطا جانس » و « الميامر » وكتاب « المعجونات » ، ونحو هذه الكتب .

المرتبة السابعة

كتاب واحد : في تدبير الأصحّاء : ست مقالات يدرس فيها صحة كل واحد من الأبدان .

* * *

مما يدلنا دلالة قاطعة على أن علماء الطب بالاسكندرية قد أدركوا أسلوب البحث الأكاديمي ادراكاً كاملاً ، وانهم تشرّبوا الروح الجامعية في البحوث العلمية ، أقوال ننقلها عن القدماء ، وكلها تدل على ان هؤلاء العلماء قد بلغوا من الأسلوب العلمي أرقى مبالغه في عصرهم :

قال ابن أبي أصيبعة في كتاب طبقات الاطباء .

« وهذا الكتاب (أي كتاب تدبير الاصحاء الذي يكون في المرتبة السابعة من مراتب دراسة الطب في الاسكندرية) إذا نظر فيه الانسان ، اضطره إلى أن ينظر في كتاب الأغذية في كتابه في جودة الكيموس ورداءته ، وفي كتابه في التدبير الملطِّف وفي شرائط الرياضة » . . . . .

وفي هذا برهان كامل على أن هؤلاء العلماء قد أقاموا برنامج الدراسة على أساس تركيبي نظيم بحيث يحرك درس كتاب الى الآخر ، فاذا تدرّجت من واحد الى ما بعده وما يترتب عليه ، انتهيت الى حيث انتهى جالينوس .

على أن الذين نقلوا الطب عن الاسكندرية من العرب، قد وجهوا الى تدرج الدرس في هذه الصناعة على الصورة التي أسلفناها، نقوداً قيمة رشيدة، وعقبوا على الاسكندريين بآراء في درس الطب لا ينقصها المنطق ولا تعوزها رجاحة النظر.

قال أبو الفرج بن هندو: في «كتاب مفتاح الطب» ما يلي:

«هذه هي الكتب التي اتخذها الاسكندرانيون من كتب جالينوس، وعملوا لها الجوامع، وزعموا أنها تغني عن متون كتب جالينوس، وتكفي كلفة ما فيها من التوابع والفصول».

وقال أبو الخير الخمار، وهو أستاذ أبو الفرج بن هندو:

«أنا أظن أنهم قد قصّروا فيما جمعوه من ذلك لأنهم يعوزهم الكلام في الأغذية والأهوية والأدوية، قال — «والترتيب أيضاً قصّروا فيه، لأن جالينوس بدأ من التشريح ثم صار الى القوى والأفعال، ثم إلى الأسطقسات».

وقال أبو الفرج بن هندو معقباً على جميع ذلك بنقد هو غاية في الجودة وادراك الحقائق من علوم تلك الصناعة.

«أنا أرى أن الاسكندرانيين إنما اقتصروا على الكتب الستة عشر، لا من حيث هي كافية في الطب، وحاوية للغرض، بل من حيث افتقرت الى المعلم، واحتاجت الى المفسّر. ولا يمكن أن يقف المتعلم على أسرارها، والمعاني الغامضة فيها، من غير مذاكرة ومصارحة، ومن دون مراجعة ومفاوضة. فأما الكتب الذي ذكرها الأستاذ أبو الخير بن الخمّار، فالطبيب مضطر الى معرفتها وإضافتها الى الكتب التي عدّدناها. غير انه يمكنه من نفسه الوقوف على معانيها، واستنباط الأغراض فيها، بالقوة المستفادة من الستة عشر التي هي القوانين لما سواها، والمراقي إلى ما عداها. فإن قُلْتَ: فما حجة الاسكندرانيين في ترتيبهم لهذه الكتب، قلنا إنهم رتبوا بعضها بحسب استحقاقه في نفسه بمنزلة كتاب «الفِرَق» فإنه وجب تقديمه لتنتفي به نفس المتعلم من شكوك أصحاب التجربة والمحتالين ومغالطاتهم، ويتحقق رأي أصحاب القياس فيقتدي بهم وبمنزلة الصناعة الصغيرة. فانه لما كانت فيها شرارة من صناعة الطب، كان الأولى أن يتبع بها كتاب «الفِرَق» ويجعل

مدخلاً الى الطب ، ورتبوا بعضها بحسب ما توحيه إضافته الى غيره بمنزلة الكتاب الصغير في النبض ، فانه جعل تابعاً للصناعة الصغيرة ، لأن جالينوس ذكر فيها النبض عند ذكره لمزاج القلب ، ووجب أيضاً تقديمه على كتاب جالينوس الى أغلوقَن ، لأنه تكلم في هذا الكتاب في الحميّات . والنبض هو أول شيء يعرف منه أمر الحميات . على أن الترتيب الذي ذكر الأستاذ أبو الخير ، إن جالينوس أساء إليه ، هو لعمري الترتيب الصناعي . وذلك إنه يجب على كل ذي صناعة أن يتدرَّج في تعليمها من الأظهر الى الأخفى ، ومن الأخير إلى المبدأ . والتشريح هو علم البدن وأعضائه . وهذه هي أول ما يظهر لنا في الانسان ، وإن كانت آخر ما تفعله الطبيعة . فان الطبيعة تأخذ أولاً الاسطقسات (١) ، ثم تمزجها فيحصل منها الأخلاط ، ثم تفعل القوى والأعضاء » .

«فيجب ان يكون طريقنا الى التعليم بالعكس من طريق الطبيعة في التكوين . ولكنا ندع هذا الاضطرار ، ونرضي ترتيب الاسكندرانيين ، لأن العلم حاصل على كل حال ، وخرق اجماع الحكماء معدود من الخرق » . اهـ .

ونحن نقول من ناحيتنا إن قدماءنا لو لم يخضعوا لهذه القاعدة ، قاعدة أن «خرق اجماع الحكماء معدودٌ من الخُرق» لبلغوا من العلم مبالغ عليا . ذلك بأن خرق اجماع الحكماء كان في جميع الأزمان وفي كل الملابسات ، السبيل الى العلم والى المعرفة .

قال ابن أبي أصيبعة ص ١٠٩ ج ١ :

« للاسكندرانيين جوامع كثيرة في العلوم الحكمية والطب ولا سيما لكتب جالينوس وشروحاتها لكتب أبقراط » . وذكر من أولئك الذين نبغوا في الاسكندرية : شمعون الراهب المعروف بطيبويه . أهرون صاحب الكناش ، ألف كناشة بالسريانية ، ونقله ماسرجيس الى العربي ، وهو ثلاثون مقالة ، وزاد عليها ماسرجيس مقالتين . يوحنا ابن سرابيون ، وجميع ما ألف سرياني ، وكان والده سرابيون طبيباً من أهل باجرمي ، وخرج ولداه طبيبين فاضلين ، وهما يوحنا وداود ؟ وليوحنا بن سرابيون من الكتب كناشه

---

(١) اذا قرنا ما عناه الاقدمون بالاسطقسات بالخلايا والاعضاء في الطب الحديث ، بان لنا طرف من حقائق الطب عند الاسلاف.

الصغير ، اثنتا عشرة مقالة ، وكناشه الصغير ، وهو المشهور : سبع مقالات . ونقله الحديثي الكاتب لأبي الحسن بن نفيس المتطبب في سنة ثمانية عشرة وثلاثمائة ، وهو أحسن عبارة من نقل الحسن بن البهلول الأواني الطبرهاني، ونقله أيضاً أبوالنشر متّى ، ومنهم :

أنطيلس ، برطلاومس ، سندهشار ، القهلمان ، أبو جريج الراهب ، أوراس ، بونيوس البيروتي ، سيورخنا ، فلاغوسوس .

ومن هذه الأسماء ما هو اغريقي ، وفيها ما هو سرياني .

ثم عيسى بن قسطنطين ، ويكنى أبا موسى ، « من جملة أفاضل الأطباء » . وله من الكتب كتاب الأدوية المفردة ، وكتاب البواسير وعللها وعلاجها .

ومنهم أرس ، وسرجيس الراس عيني ، وهو أول من نقل كتب اليونانيين على ما قيل الى السريانية ، « وكان فاضلاً وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة » .

ومنهم أطنوس الآمدي صاحب الكناش المعروف « ببقوقويا » . وغريغريوس صاحب الكناش ، قال ابن أبي أصيبعة — « وأكثر كتب هؤلاء موجودة ، وقد نقل الرازي كثيراً من كلامهم من كناشه الكبير الجامع المعروف بالحاوي » .

جاء في كتاب طبقات الأطباء : مترجماً لطبيب عربي من كنانة :

« عبد الملك بن أبجر الكناني : كان طبيباً عالماً ماهراً وكان في أول أمره من الاسكندرية . لأنه كان المتولي التدريس فيها من بعد الاسكندرانيين (١) الذين تقدم ذكرهم. ذلك عند ما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى . ثم أن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الاسكندرية أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز ، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة وصَحِبَه ، فلما أفضت الخلافة إلى عمر في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، نُقِل التدريس الى إنطاكية وحرّان وتفرّق في البلاد » .

وغالب الظن أنه منذ ذلك الوقت أخذ نجم مدرسة الاسكندرية يأفل ، وذلك في أواخر القرن السابع الميلادي كما أفل نجم مدارس أثينا عند ما أغلقها في القرن السادس الميلادي الامبراطور يوستنيانوس البوزنطي .

اسماعيل مظهر

---

(١) يعني الاغارقة والسريان .

عانس

وقفت تطالع في كتا   ب الكون أسرار الوجود
وتدير مقلة وامقٍ   في صفحة الأفق البعيد
وعلى محيّاها الذهول   ولوعة الأسف الشديد
يا ليت شعري ما يجنُّ   الصدر من وجد جديد ؟
بحرٌ من اللذات يعصف   عاتياً ملء الكبود
والشهوة الحمراء في   الشفتين تبرق عن وعيد
في كل ربع وقفة الثكلى   لها عند اللحود
والذكريات بصدرها   نارٌ تلظت بالوقود
... فلقد شجاها أن شمس   العمر تجنح للركود
وطلائع الشيب الذميم   تنم عن خطب أكيد
يا خيبة الحلم السعيد   وضلة الرأي الرشيد
ولّى الشباب ونفسها   لم ترو من كأس الوعود

* * *

قامت تجمجم من أسى   أحشاء ذي شجن عميد
وخلال أضلعها سجين   ناء من عبء القيود
يهتز من مضض الجوى   أسفاً لهاتيك العهود
وتثيره ذكرى الشباب   وضاحك العمر الرغيد
فتخاله ناقوس ديرٍ   راح يقصف يوم عيد
يا خيبة الحلم السعيد   وضلة الرأي الرشيد
ولّى الشباب ونفسها   لم ترو من كأس الوعود

دمشق   عدنان مردم بك

الاطفال

عشراء الوحوش (١)

قرأت نبأ ذلك الغزال الآدمي فعادت بي الذاكرة إلى أكثر من نصف قرن حين كنت طالباً صغيراً بمدرسة الأمريكان بحي الأزبكية بالقاهرة حيث منحت وقتئذٍ جائزة هي كتاب (قلادة النحر في غرائب البر والبحر) وذلك لفوزي على الأقران في الدراسة في ذلك الزمان.

صورة الغزال الآدمي

ومما أذكره حتى الآن وقد فقدت هذا السفر النفيس وأصفاه منذ جيل أنه من مطبوعات بيروت. وما برحت أذكر كذلك البحث الذي تضمنه بشأن عشراء الوحوش في القرن الماضي. ودار الزمن دورته فوقع نظري ذات يوم على كتاب مدرسي كان يدرسه نجلي الأصغر إذ كان طالباً بمدرسة حكومية — بالقسم الثانوي، وأعني به (الجزء الأول من كتاب المطالعة للمدارس الثانوية، المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٣٠ فتصفحته فعثرت فيه على النبذة التالية في الموضوع نفسه: —

على أن لبعض الذئاب ببلاد الهند فضيلة لا يحسن أن نسكت عنها، فقد ثبت أن بعض صيادي الهند عثروا في أثناء صيدهم على ذئاب تتبعها أطفال من بني الانسان كما يتبع الأليف أليفه، والولد أمه وأباه، ولكنهم يمشون على أربع ويلجئون معهم الى الكهوف والمغارات وإذا حزبهم الأمر وأحاط

---

(١) بمناسبة ما روته الصحف بشأن الغزال الآدمي، رأيت أن أشرح هذا الموضوع فيما يلي : —

بهم الصائدون عووا كما تعوى الذئاب ، ينفرون من الإنسان متى وجدوه ، ويستأنسون الذئب إذا سمعوه . وفي ذلك المعنى قال الشاعر : —

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت إنسان فكدت أطير

فقد هؤلاء الأطفال أهلهم بنكبة من نكبات الهند فحنّت عليهم الذئاب وعطفت عليهم عطفها على أجرائها حتى صاروا لا يعرفون سواها ، واعتادوا المعيشة معها وفقدوا كثيراً من مميزات الإنسانية والمدنية . تمّ بحروفه .

وإليك ما جاء في المراجع الانكليزية : —

إن أحدث الحوادث التي من هذا القبيل حكاية الولدين الهنديين المتوحشين وهما آمالا وكمالا اللذان وجدهما الروّاد سنة ١٩٢١ عائشين مع الذئاب في كهف من كهوف تلك البلاد . ثم قصة « لوكاس » وهو صبي من أهالي جنوب أفريقية ، ربّته القرود وعاش معها حتى أتيح إنقاذه من وسطها ، ذلك أنه وجد حوالي سنة ١٩٠٣ وهو يناهز الرابعة عشرة من عمره ، فصارت حادثته أولى الحوادث الحقيقية للاطفال الذين تبنتهم الحيوانات الثديية وربتهم .

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أن صحف جنوب أفريقية وأوروبا وأمريكا ، ظلت أكثر من عشر سنوات تروي لقرائها من حين الى آخر . روايات رائعة على ذلك الغلام العجيب . وكان أول حديث بشأنه ، الخبر الذي أرسل من مدينة يوهانسبرج إلى أمريكا ، عن طريق شركة التيمز النيويوركية ، فأذاعته على قرائها في عددها الذي صدر يوم الأحد ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧ . وإليك ما جاء فيه برمته : —

« كان جنديان من الفرسان القدماء في بوليس مدينة الكاب ، يرتادان أحد مجاهل الأصقاع النائية في الجنوب الشرقي من مدينة الكاب ، فصادفتهما شرذمة من القرود ، يلعب بعضها مع بعض ، في حوض كانت أرضه قد مهدت وأعدّت للزراعة ، وكانت القرود تعيث فيها فساداً كأنها أطفال تلهو وتمرح ، فلم يرق عبثها أحد ذينك الفارسين . فما لبث أن طاردها وأطلق عليها عياراً نارياً من غدّارته . فولت الادبار على الفور ، بيد أن مطاردها لحا قرداً منها ، وقد تخلف عن قافلته من فرط إعيائه ، على حين كان زملاؤه يجدون في الهرب فخيل للفارسين أول وهلة أن ذلك القرد قد أصابه الطلق الناري فجرح فسارعا إليه ليقبضا عليه ، فدهشا دهشاً عظيماً إذ تبينا أنه صبي وطني لا قرد وحشي لا ينقصه شيء إلا موهبة الكلام كما يفهمها بنو البشر ، إذ كان يُهمْهم (١) كالنسناس ، كلما دنا منه الفارسان ليأسراه ،

---

(١) الهمهمة ترديد الصوت في الصدر

ثم يقفز حولها على الاربع ، حتى تغلبا عليه . وما إن وقع في أسرهما ، حتى سُقط في أيديهما ، إذ لم يدركا ما ينبغي عمله نحوه .

فعمدا إلى الكفور القريبة منهما قصد الاستعلام عن أهله فأخفقا إذ عرضاه على أبناء وطنه جميعاً فلم يعرفه أحد منهم ، ومن ثمة نقلاه الى معهد من معاهد الأمراض العقلية حيث أقام زهاء سنة ، لم تبدر منه في خلالها أية بادرة تنم على ميله إلى الرذيلة ، مع إنه كان عربيداً مشغوفاً بالمراوغة ، وهما من الصفات التي اكتسبها من معاشرته للقرود . ولم يكن في وسعه أن ينبس ببنت شفة . وكان يقدم له ألذ أغذية المستشفى فلم يستطيبها ، بل كان يؤثر عليها الذرة الخضراء والتين الشوكي ، فيتناول منهما ثلاث وجبات يومياً . وما برح حتى كتابة هذه السطور في أواخر سنة ١٩٢٧ ملازماً عادته القديمة في غذائه ولا سيما شراهته في أكل التين الشوكي ، فقد شوهد في جلسة واحدة يلتهم ٨٩ تينة منه .

ومع حقيقة أنه كان يبدو عليه شدة الميل إلى السير على الاربع ، بدلاً من الوقوف على ساقيه والاعتماد عليهما وحدهما في المشي ، فقد استدلّ المشرفون على ادارة المستشفى العقلي ، إنه لا يصلح للاقامة فيه ، لأن كل ما كان يفتقر إليه هو التدريب فحسب . وحينئذ سمع أحد أرباب الأطيان ، من أخيه الموظف بذلك المستشفى قصة الغلام العجيب . فعرض على ولاة الأمور ، أن يتسلمه ويجعله في كنفه ، فلبوا طلبه وسلموه إياه . وكان جسم لوكاس حينئذٍ مشوهاً بآثار جروح يخيل لناظرها أنها نتيجة عضات أليمة ، لم يعرف لها سبب . غير أنه لما تعلم الكلام فيما بعد ، أخبر سيده صاحب الضيعة أن الندبة (١) الكبرى الباقية في قمة رأسه كانت نتيجة رفسة نعامة .

وظلت نزعاته القردية مبعثاً لاستياء المحيطين به ردحاً من الدهر ، وكان أحب شيء اليه مناوأة القطاط التي تعيش في الضيعة . بيد أنه كان من بدء أمره يلزم الأدب والطاعة مع الناس ، والحب للاطفال ، فأصبحوا يعولون عليه كحاضن لهم . وناهيك به حاضناً

أما في الآونة الحالية فقد أصبح لوكاس بلا شك أنفع خادم في المزرعة المشار اليها ، ولا غرو فهو لا يكترث للوقت ، ولا يعوقه الفجر أو المساء عن الاضطلاع بأعباء أعماله . ولذلك يعهد اليه دائماً في أداء أي عمل في أي وقت ، فيلبي الأمر ، ويثابر على المطلوب منه القيام به مثابرة خليقة بالاعجاب ، جديرة بالثقة المعهودة فيه ، فيفوق أي عامل من العمال

---

(١) الندبة ـ أثر الجرح الباقي على الجلد والجمع ندب وأنداب وندوب

الوطنيين الذين في دائرة اقليمه . وأضحى في وسعه التكلم باللغة الانكليزية كلاماً جيداً إلى حدٍّ ما . ولـكنه لا يفهم شيئاً من لغات بني جلدته ، مع أن أعماله تجعله مرتبطاً ببني وطنه ارتباطاً دائماً . وفي هذا الصدد كتب المستر ميكبيس المحرر بجريدة ستار ، التي تصدر في مدينة يوهانسبرج التقرير الآتي نصه بشأن هذا الصبي الغريب ، ثم بعث بما كتبه الى الدكتور دارث عميد جامعة Witwatersrand (وصحة نطق هذا الاسم هي ڤيتڤاترزرانت ، في جنوب أفريقية. واليك فحواه فيما يلي : —

إن القصة التي قصها عليّ المستر جورج ه . سميث ، صاحب مزرعة (ثورنهيل) ، وهي مقر لوكاس منذ ٢٨ سنة كانت آخرها سنة ١٩٣١ مطابقة كل المطابقة لما روته عليه الصحف الأمريكية .

وتحرير الخبر أنه في سنة ١٩٣١ صار لوكاس يناهز الاربعين من عمره وأن سيده يعترف بحسن سلوكه ، وجده في عمله وأنه خير معوان له . وهذا الى جانب طاعتـه التامة ، وذكائه المفرط ، مع العلم بأن ذلك الذكاء لم يظهر عليـه إلاّ من بلوغه الثانية عشرة من العمر ، ثم سرد المستر سميث تاريخ حياة لوكاس فقال : —

قضى لوكاس طفولته بين القرود ، وهذا أمرٌ نحن على يقين منه ، ليس بالأدلة التي تحويها هذه القصة وحدها ، بل بالمشاهدات التي شاهدتها بنفسي فيه ، والتي عرفها غيري في خلال الحقبة المديدة التي قضاها لوكاس في ضيعتي . ودليلنـا على صدق أقوالنا ، الصورة الجانبية لوجهه ومراوغته ، وطول ذراعيه ، ونمو ردفيه نموًّا شاذًّا ، وتنكيس رأسه ، واهتزازه دائماً ، والخدوش التي في أعضـاء جسمه وصبابته ، ثم الذعر الغريب الذي يعتريه ، وتكشيره عن أنيابه ، وهذه صفات كلها براهين دامغة تثبت يقيناً أنه كان في حداثته معاشراً للقرود . ثم أن وجهه لا يشبهه في القرود لأنه ولد ميلاداً طبيعيًّـا لاغبار عليـه . وإنما عاداته التي اقتبسها من معاشرته للقرود هي التي جعلته يختلف اختلافاً بيناً عن بني جنسـه . وتكلم المستر سميث في مسألة أصل لوكاس ، فنقل القصـة الشائعة الخاصة به موقناً بصدقها فذكر مضمونها وهو أن لوكاس حينما كان طفلاً صغيراً تركته أمه نائماً ذات يوم وقصدت الى أحد الحقول لتعزق أرض الذرة . ولما أتمت عملها هناك ، عادت إلى كوخها فلم تجد طفلها ، فاعتقدت حينئذٍ أن القرود قد سرقتـه ، وشرح المستر سميث كيف تمكن من ترويض لوكاس قائلاً : —

لقد قضيت أشهراً دون استطاعتي إصلاح حاله ، إذ كان همجيًّا ميالاً للأذى فوجدت

نفسي مضطراً إلى ضربه بالسوط ولا سيما عند تحذيره من العادات الحيوانية القذرة ومنعه من ارتكابه إياها في الدار وحولها . وكانت هاتيك العادات تشبهها في القطة ، ومنها بغضه للماء وإحجامه عن الاغتسال به ، وما كان في وسعي التفاهم معه لأنه لم يكن يعرف أية لغة بشرية، فجعلت ألقنه بضع كلمات إنكليزية فلم تلبث ذاكرته وذكاؤه أن تنبها فطرأ عليهما انقلاب عظيم . وبلغ من حسن استعداده للتعلم أن أخذ بعد مضي سنوات ، يسرد لي كيف كان يشترك مع القرود وهو عشيرها ، في سرقة بيض النعام من أداحيه (١) فرفسته نعامة هندية منها فجرحته جرحاً دامياً في رأسه وهو الجرح الذي ما زال أثره باقياً فيه الى اليوم .

* * *

ولم يكن ذلك الفتى يعرف أي لسان من لغات بلاده ، وانما كانت معلوماته جميعها محصورة فيما تلقاه عني من الكلمات الانكليزية القليلة طيلة إقامته في كنفي » .

أما لوكاس فقد بسط تاريخ حياته كما هو مثبت في السطور الآتية : —

« أصرّح أنا لوكاس الصبي القردي المستخدم لدى المستر ج . سميث صاحب ضيعة ثورنهيل بدائرة باذرست (بمركز الكاب) بأني غدوت أستطيع ذكر بعض حوادث مما وقعت لي طوال معاشرتي للقرود ، حيث كان غذائي يؤلف غالباً من الصراصير وبيض النعام ، والتين الشوكي والذرة الخضراء وعسل النحل البري . وقد رفستني في رأسي نعامة بينما كنت أهجم على أدحيها وكثيراً ما لسعني النحل عندما كنت أسطو على خلاياه . وقد تسلقت مرة صخرة شاهقة وعرة منقباً عن اي شيء أتغذى به ، فزلت ساقي اليسرى فهويت الى الحضيض ، فكسرت تلك الساق . ولبثت طيلة معاشرتي للقرود أسير على الأربع وأنام في الأدغال عاري الجسم كل العري . وكنت ذات يوم أبحث عن القوت مع زملائي القرود فأطلق علينا فارسان ، عيارات نارية من مسدساتهم ، فحاولت الهرب بكل ما في طاقتي ، ففشلت ، فقبضا عليّ ، ثم حملني أحدهما على جواده . ويؤسفني الآن أني أجهل المكان أو المركز الذي وجدني فيه ذلك الفارس » . X التوقيع هكذا وهو يقوم مقام لوكاس .

عوض جندى

---

(١) الادحى — بضم الهمزة وسكون الدال — الموضع الذي تبيض فيه النعام وهو على وزن أفعول دحوت لانها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعامة عش .

Orientalisches Seminar Freiburg Lit.

برلمان الطبيعة

لقد رشّحت يا أفقُ السحابا   وقد أجْرَتْ رياحك الانتخابا
فأحجم فاقدُ العبرات عنه   وأقدمَ مَن له دمعٌ فنابا
فأصبحنا نشاهد « برلمانًا »   يردّ الشمس لابسةً نقابا
وينظر للبسيطة وهي ظمأى   فيسقيها مدامعه العذابا
ولولا أن أدمعه عِذابٌ   لكانت عيشة الدنيا عَذابا
فألق بنظرتيك عليه تعجبْ   له ، وكفى به عجبًا عجابا
أرائكُ من رياح الله تحنو   على النواب ، حاسبةً حسابا
ودارٌ قد بناها الله سقفًا   ولم يجعل لها جدُرًا وبابا
ونوابٌ شحاحٌ في رضاهم   كرامٌ إن همُ انقلبوا غضابا
تحاماهم مشيبهمو فشبنا   وظلوا في معاليهم شبابا
ويا عجبًا أراهم ، مع صباهم   ورفعة قدرهم ، لبسوا اكتئابا
هل اقتربوا فملوا القرب منا   أم اغتربوا فملوا الاغترابا ؟
تعالى الله ، هذا برلمانٌ   أطاب لنا معيشتنا ، وطابا
رسالةُ غيره كلمٌ ، ولكن   رسالته يؤديها « انتحابا »

شاعر البرارى

الصراع

في العالم العربي

يقولون : إنّ العالم العربي قد جنى عليه موقعه الجغرافي شرّ جناية . فلو لم تكن بقاعه مفترق طرق ، لما وطئته قدم أجنبية، وعاش بمنجاة من الحرب والفتح . لكن هذه البقعة من المعمور — العالم العربي — لم تكن ميداناً للصراع العسكري فقط ، بل كانت ولما تزل ميداناً تتصارع فيه الحضارات . والقوى العسكرية التي تتصادم وتتطاحن قد تدول وتتوارى ، لكن أثر الحضارات يترسب في أعماق النفوس وتتوارثه الأجيال وان يمّحى . ويستطيع الجيل الجديد الواعي المثقف في العالم العربي أن يماجد غيره من شعوب الأرض قاطبةً ، لأن بلدانه كانت بمثابة سراج صبت فيه الحضارات القديمة ، التي رأت النور على شاطىء المتوسط ، زيوت اختباراتها وتجاربها ، وثمرة تفكيرها ، وحتى خيالها وآلامها . ولئن اشتهر الشرق بالجمود ، والمحافظة على قدسية الأرث الذي خلفته الأجيال الغابرة ، فالعالم العربي ، وهو جزء من هذا الشرق ، يتميز بالقلق والتلوّن وقابلية التكيف والقدرة على التمثل . ولئن احتدم الصراع بين فئاته ، وتباينت آراؤها . واختلفت مذاهبها الفكرية ، فذلك دليل على الحيوية ، وغنى التراث المتراكم — من قديم وحديث — والإرادة المتحفزة المتوثبة التي تبغي الأحاطة بكل شيء . ولا بدّ في السياق الطويل من أن يعقب هذا الصراع سلامٌ تنصرف فيه النفوس للإستمتاع بثمرة الحضارات.

إن الحضارة الغربية الراهنة ليست إلاّ درجة في السلم المؤدي إلى الحضارة الانسانية الشاملة . ويستحيل على أي كان أن ينسبها لشعب من الشعوب ، أو أمة من الأمم . ذلك لأن هذه الحضارة قد نمت وعمقت وتفرعت حتى تعذرت علينا الاحاطة بها وفهمها وتمثلها ، فهي قد امتصت مادية جميع الحضارات التي غبرت ونشأت عن مساهمة أمم شتى ، وغمرت أمواجها بدون نزاع مشارق الأرض ومغاربها . وتأتى للحضارة العصرية من الظروف الملائمة

واسعة الانتشار ، ما لم يتأتَّ لحضارة سلفت . ولا يعود الفضل في انتشارها إلى سرعة المواصلات فقط ، وأساليب الإذاعة الحديثة التي انبثقت عنها ، كالطباعة على أنواعها والسينما والراديو ، بل إلى الطابع البشري الذي اتسمت به ، أما الحضارات القديمة فيمكننا ، إذا ما استعرضناها أن نردها الى الشعوب التي تمخّضت بها ، ونتبين طابع الأمة التي ربَّبتها ، ولم تكن تلك الحضارات الشهيرة ، سواء منها التي ظهرت في سوريا ، أو في مصر ، أو في العراق ، خاصة بهاتيك الأمم فقط ، بل كانت ثمارها وقفاً على فئة خاصة من الأمة ، ولذلك بات النصيب الانساني فيها ضئيلاً هزيلاً لا يؤبه له . والى هذا ، لا إلى غيره ، نعزي سبب أقليمية تلك الحضارات ، وركود نشاطها عند تخوم البلاد التي ظهرت ونشأت فيها ، ولا بدّ من أن يكون قد رشح منها شيء الى الأقاليم المتاخمة ، المستعدة لتقبل ألوان تلك الحضارة ، المتشابهة الى حدٍّ ما في الصفات العرفية المستسرة ، وطبيعة الأقليم ، وتكوين الأرض ، ونظم الحياة الاجتماعية والعقائد الدينية . أما الأصقاع البعيدة فقد استحال عليها أن تتأثر بها وتغمرها أمواجها . ولهذا السبب عينه نرى شعوباً قديمة بلغت درجة عظيمة من الحضارة البشرية ، بينما ظلَّ غيرها يتسكع في ظلام الجهل والغباوة . ومن السخرية المؤلمة أن يتخذ البعض هذا السبق سبباً للتمجد والمباهاة . ولو عقلوا لفقهوا أن الأمم كالأفراد لا تولد جميعها في عام واحد أو في قرن واحد ، بل لا بدّ لها من أن تمر في أطوار الحياة الرئيسية الثلاثة من ولادة فشباب فهرم . وأن هناك أمماً قد شبّت باكراً وأخرى قد شبت متأخرة . وإننا لا نستطيع أن نتبين العلل التي أدّت الى النهوض الباكر ، أو التي أخرت الظهور وعاقت النمو . وأكثر الحضارات القديمة لم تبرح موطنها الأصلي وتنتشر إلاّ عند ما كانت تكفلها قوة عسكرية يكتب لها الفوز في الحرب . فالاسكندر حمل إلى سوريا ومصر الحضارة الأغريقية ، وطلع العرب على العالم من جزيرتهم بدين جديد تدعمه قوة عسكرية لا يستهان بها .

أما الحضارة الغربية الحديثة فانها استطاعت أن تنتشر في الأمصار القريبة والبعيدة ، وتغزو العقول والقلوب ، وتطور المجتمعات التي تتسرب إليها ، معتمدة في ذلك على أساليب الاذاعة التي ابتكرتها الصناعة الحديثة من صحافة ومؤلفات ومواصلات لاسلكية وسينما .

ومن أبرز خصائص السينما أنها عملت على نشر ألوان المعيشة ومظاهر الحياة وتنوّع الأزياء واختلاف الألسنة وفنون الأعمال والعمران . وعمدت الى الماضي فبعثت أهليه بسحنتهم وأساليب حياتهم وطرق معيشتهم وشكل منازلهم وغربت وشرقت بهم .

ولقد قدّر للشرق العربي أن يتصل بالغرب منذ أوائل القرن التاسع عشر . لكن هذا الإتصال كان قصير الأجل ، محدود الأثر ، وسبب ذلك يعود الى البيئة المتأخرة التي كانت تحيا فيها أمم العالم العربي إبان حملة نابوليون الى الشرق ، والى الذهنية التي كانت تسيّر تلك الأمم في مضمار الحياة ، والعين التي كانت تنظر بها الى الحياة والكون ، والقيم التي كانت تعتبرها وتجلها . ولم يثمر هذا الإتصال في إبانه في مصر ، ولم يكن له صدًى بعيداً في أرجاء العالم العربي ، لندرة الرءوس المفكرة التي تدرك ما تريد ، وتعرف ما لا تريد ، وعدم وجود زعماء حقيقيين يرون الزعامة وسيلة لإجراء الاصلاح الشامل لا واسطة للاستبداد والتعسف وابتزاز الأموال . فهؤلاء لا غيرهم ، يمكنهم أن يسوقوا الشعب سوقاً إلى مناهل العلم وحياض المعرفة ويطلقوا في الوطن تيارات جديدة . وهل هذا القول أكثر ما ينطبق على محمد علي ، ذلك الرجل الواعي المصلح .

ومن شأن الحضارات عندما تتلاقى أنها تتفاعل وتتناحر وتتصارع وتختلف حدة الصراع باختلاف الأمم ومقدار تفتحها وقابليتها للتكيف والاقتباس ، أو انكماشها وانطوائها على ذاتها ، والشبه بين الحضارات . ومما يزيد في الصراع أن الأكثرية الساحقة في كل أمة تعيش بمعزل عن نور العصر الذي تحيا فيه ، محافظة على نظرات فاسدة إلى الكون والحياة لا تتخلى عنها ، ولا تفقه معنى التطور وضرورته بغية الاستمرار في الوجود وكرامة الوجود . وإن هذا الصراع ما زال ناشباً على أشده في العالم العربي منذ مطلع هذا القرن . ومرد هذا الصراع إلى صفة العالمية والشمول التي تتصف بها الحضارة الغربية العصرية . فبتنا لا مفر لنا من الانصياع للواقع والاقبال على خير ما في هذه الحضارة من خير يرتجى . إذ يستحيل علينا أن نضع أنفسنا في قماقم ، ونغمض العين ، ونصم الآذان ، كل ذلك كي نتجاهل عمداً التيارات الحضارية التي انطلقت فعمت الأرض بأسرها . ولا بدّ لنا من أن نمضي جادين في الاقتباس عن الغرب الاوربي والغرب الاميركي ، ومن الخطل القول أن الاقتباس يفقدنا

مميزاتنا الذاتية وخصائصنا القومية ويذيبنا في بوتقة الحضارة الغربية . إذ ما من قوة ، مطلقاً ، تستطيع أن تجعل من الانسان كائناً جديداً غريباً عن خصائصه الأصلية العريقة ، الذاتية منها والعِرْقيّة ، لأن المرء لا يقوى أن ينجو من مؤثرات المجتمع الذي هو في أحضانه ، والبيئة التي يقطنها .

ومن مميزات الشعوب المتأخرة ، المتخلفة في مضمار الحضارة ، أن لا تكترث بالحضارة ولا تعيرها اهتماماً ، ولا تعلّق آمالاً كباراً على الغد ، بل تسمر أنظارها في الماضي ، مؤمنة بصلاحه وفساد الحاضر . وتعتقد أن ما من فكر حديث إلاّ راود أذهان الأجداد ، وما من مخترع في العصر الحاضر إلاّ علقت به جذور تمتد الى الماضي السحيق الذي نجهله . فما لهجت الألسن مرة بالغرب وحضارته والخصائص الانسانية التي تتميز بها ، والفوائد الجمة التي نجمت عنها واستفادت البشرية منها في شؤون عيشها وحياتها ، إلاّ سمعنا من يتصدى قائلاً : إن الغرب مدين للشرق ، ولولا الشرق لما كان الغرب ، ونراه في العصر الحاضر يسدّد الديون التي اقترضها عند ما كان لا يزال في أول الشوط . وان هذه المدنية الغربية ، التي لا تنسب الى شعب معين أو الى سلالة معينة ، لم تنبت في أوربا وأميركا على نحو ما تنبت الكمأة والفطر ، بل ان بذورها جيء بها من الشرق ، سواء كانت روحانية أو مادية . ولئن يكن الشرق مهداً لحضارات قديمة متعددة ، فليس من المقرر الثابت أن الحضارة الغربية ابنة صحيحة لهاتيك الحضارات أو امتداد لها . فكما أننا نجهل جهلاً تاماً جميع الطبقات الأرضية التي تجتازها قطرة الماء حتى تخرج من النبع ، فكذلك يستحيل علينا أن نعين كافة العوامل ، التي ساهمت وساعدت على نمو الحضارة الغربية وازدهارها .

وها هي ذي الحضارة الاسلامية — العربية بين يدينا ، فهل نقدر أن نعين كمّياً مبلغ ما أخذت وما أعطت ؟ وهل حدث لأمة أن نهضت دون أن تتوكأ على تراث غيرها من الأمم ، وتستغله أعظم استغلال ، وتتخذه أساساً تشيد عليه صرح حضارتها ؟ ومن الغريب أن يعمد الغرب إلى جميع الحضارات القديمة ، ويقتبسها وينميها ويتمثلها وينشرها ، خالعاً عنها رداءها الأصلي ، ساكباً فيها من روحه وتقاليده وعاداته ، بينما أظهر الشرق عجزه عن الاستفادة مما يوجد بين يديه . ولعلّ مرد ذلك إلى طبيعة الشعوب الشرقية القديمة التي اعتادت أن تحيط

العلم بهالة من الأجلال والقداسة والاعتبار، وطبيعة الغربيين الذين يعتبرون العلم مجرد وسيلة وأنه وجد لخدمة الانسان واسعاده ولذته. إنهم أنزلوه من برجه العاجي الذي سجنه فيه الشرقيون

ولغيري أن يصوب سهام النقد العنيف إلى الغرب لامعانه في المادية . هذه المادية التي تتجلى في الحروب والنزعات الاستعمارية ، والكدح في سبيل المال ، والايمان المطلق للعلم وقدرته على تفهم أسرار الحياة والكون . مع العلم أن ينابيع الحضارة الغربية ثرّة صافية عذبة . ويستحيل على المياه أن تظل صالحة نقية من منبعها حتى مصبها . فإنها لا تقوى على دفع الأجسام الغريبة التي تلقى فيها وتعكر صفاءها وتفسدها وتجعلها غير صالحة . أما أنا فانني أومن إيماناً لايعتوره شك في ان العالم العربي ما اتصل مرة بالغرب إلاّ ونشأ عن هذا الاتصال والاحتكاك والاقتباس عصر ذهبي ونهضة جبارة في جميع نواحي الحياة وأبواب المعارف . وشاهدي على ذلك المساهمة الحقيقية من قبل سوريا ومصر في الثقافتين العظيمتين الخالدتين الأغريقية والرومانية . فقد عرفت كل من سوريا ومصر تينك الثقافتين وأثرت فيهما وتأثرت بهما ، وأخذت منهما وأعطتهما . ولا يزال العصر العباسي قريب العهد منا، وان كان الاتصال تمّ يومئذٍ عن طريق غير مباشرة . فلا يجوز أن نقول عن العصر العباسي إنه امتداد طبيعي للعصر الأموي . وليس مرد ذلك الى النظم السياسية وألوان الترف التي سادت المجتمع يومئذٍ ، بل الى غزارة المعارف ولونها ونوعها التي صبت في المجتمع العباسي . لقد كان العصر الأموي يتسم بالعنصرية الشديدة المغالية . ولم تكن العنصرية في يوم من الأيام إلاّ ضيقة منكمشة ، تؤثر العزلة ، بدافع من الأنفة ، على الاتصال وما ينشأ عنه من أخذ وعطاء . لقد كان للعصر العباسي نوافذ تطل على الجهات الاربع ، فيتنشق النسمات التي تهب من الفرس والهند وبلاد الأغريق . ولعلّ أقوى النسمات وأكثرها شذًى تلك التي هبت عليه من الديار الغربية، تلك التي تفاعلت مع الحضارة الأغريقية . ولهذا جاء نتاجه غزيراً منوعاً ملوناً . ويقيني أن الشعوب الاسلامية والعربية لو لم تستنكف بدافع ديني وعنصري في آن واحد عن اقتباس اللغة اليونانية ، لكان لتراثنا القديم شأن يختلف كل الاختلاف عن شأنه الراهن . وانهم أخطأوا وأظهروا كسلاً منبثقاً عن العقيدة الدينية عند ما اقتنعوا بالترجمات — ويغلب عليها السقم والإيجاز والهوى — التى كانت تقوم بها الأقليات الدينية التي

ظلت تعيش في البيئة الاسلامية . ومن المؤكد والمعقول أن أولئك المصريين لم يسبروا غور الثقافة الاغريقية ، وأن تلك الترجمات لم تتناول إلا الامور التي كانت تشتد إليها رغبة الجمهرة من علماء الكلام ، للذب عن عقيدتهم في بيئة صاخبة زاخرة بالمذاهب والعقائد والآراءالتي اعتمدت البحث والجدل .

ولقد تنوّعت الاسباب التي حدت بأبناء العالم العربي كي يقفوا من الحضارة الغربية موقف الحذر المتردد المتجفجف . فطفق الكثيرون يندّدون بهذه الحضارة ، ويلصقون بها التهمة تلو التهمة ، ويعتبرونها مفسدة للأخلاق ، هدّامة للتقاليد المتوارثة ، نزّاعة إلى الالحاد والاباحية ، عاملة على الانحلال الإجتماعي . ويجمل بنا ، حسب رأيهم ، أن نبني حول أقطارنا أسواراً نتقي بها الشرور التي تحاول أن تتدفق علينا من الغرب . ففي تراثنا القديم عنها غنى ، وفيه زاد وكفاية . وكما صلح هذا التراث في الماضي ، فَلِمَ لا يعود يصلح في العصر الحاضر ؟

وسبب هذه الحملة التي يشنها الجامدون الذين آلوا على أنفسهم أن لا يتقدموا قيد شعرة منذ نصف قرن في مضمار الفكر والرأي ، والذين لا يرون ضرورة في التطور ، ولا يفقهون ناموسه الفاعل فينا رغماً عنا ، هي الفروق العقيدية الكائنة بين أبنائه والغربيين أولاً ، وإلى الظروف والملابسات التي أدت الى الاتصال بالغرب .

إن تعرفنا إلى الحضارة الغربية لم يحصل بواسطة التطور البطيء في العلاقات والاحتكاك والتفاعل ، بل إن هذه الحضارة بكامل جهازها وتقادم عهدها ، وعظيم أسرارها . وغنى تراثها ، قد جاءتنا في إثر الحملات العسكرية الاستعمارية التي كانت تستهدف الشرق العربي . وهذه المفاجأة أحدثت في أممه بلبلة وتشويشاً ، لان هذه الامم لم تكن على استعداد تام لتحتضن وتتمثل حضارة ساهمت فيها أمم شتى طيلة عصور . ولم يدعنا الغربيون وشأننا ، ولم يعترفوا أن لنا خياراً في الامر ، بل أطلقوا في مجتمعاتنا تيارات حضاراتهم وأذاعوا مبادىء مدنياتهم، ونسفوا ما لدينا من نظم وتقاليد ، وأحلّوا مكانها نظماً حديثة لم نستنبط حرفاً واحداً منها ، ولم نفصل تماماً للبيئة التي نقطنها ، وللروحية التي نعتنقها . ومن مميزات الشعوب المغلوبة على أمرها ، أن تنقلب أداة طيّعة في يد الغالب ، لينة كالعجينة . ينشىء

منها الصورة التي يشاء . وهـذا السلوك لا ينافي حقيقة الجماعات البشرية لدن اختلاطها بعد حروب . فالغالب يسعى ليوطد ويتمتع بالسيطرة التي ينبثق عنها البناء أو الخراب ، التقدم أو الانحطاط ، تبعاً للرسالة التي ينوي أن يؤديها ، وتبعاً لاخلاص الأفراد الذين نوكل إليهم تأدية هـذه الرسالة ، ونصيبهم من المثل العليا والانسانيـة . ومما أثار حفيظة المحافظين هو انتشار الحضارة في أرجاء العـالم العربي وتغلغلها في جميع نواحي حياتنا . فظهرت آثارها بارزة في العمران ، وأساليب المعيشة ، والأزياء والمشارب ، ومرافق الحياة ، وفنون التفكير والاجتماع والاقتصاد والسياسة . وما معركة الأدب الجديد والأدب القديم إلاّ نتيجة متوقعة طبيعية نشأت عن تصادم الثقافتين . وإن اندحار تراثنا أمام الحضارة الغربية ولّـد في القلوب شكوكاً وسوء ظن في صلاح هـذا التراث لمقتضيات الحياة العظيمة . وسوف لا أعني فيما يأتي إلاّ ببحث التطور الذي انتاب حياتنا الفكرية ، والتبديل الذي طرأ على مفاهيمنا في تقدير القيم والمثل ، وأحدث تغييراً كبيراً في نظرتنا الى الحياة والكون .

ما هي الأسباب التي أدّت إلى انقلاب في مفاهيمنا للقيم والمثل ، ونظرتنا للكون والحياة ؟ إن السبب الوحيد الذي أحدث هذا الإنقلاب هو الثقافة الغربية . فقد انصبت علينا هذه الثقافة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ولما تزل تتدفق . فأتيح لنا أن نتصل بهذه الثقافة مباشرةً ، ونردُها من مناهلها ، ونتعرّف إلى أسرار تلك الحضارة ، والينابيع التي استقت منها ، وفقهنا علة النهضات في الغرب على اختلافها ، والانقلابات التي حدثت في سائر ميادين الحياة . لقد علمنا أن الغربي بدأ أولاً يتحرر من القوى الخارجية التي كانت تهيمن على شؤون حياته ، كالكنيسة ، والدولة الأوتوقراطية ، ومن النظريات الاعتباطية التي يكون الجهل سداها والخوف لحمتها . والفضل في هذه اليقظة التي راودت أجفانه ، يعود إلى احياء الثقافة الأغريقية واقتباسها وتمثلها . وتمكننا من الاطلاع على مرامي المبادىء الديموقراطية ونشوئها في أوروبا الغربية خلال القرنين السابع عشر ، والثامن عشر ، التي أحدثت الثورة الانجليزية عام ١٦٦٨ ، وتمت الغلبة فيها للنظم الدستورية على الإمتيازات الملكية ، وتكشفت لنا الثورة الأميركانية التي نشبت عام ١٧٧٦ . ولم تكن تستهدف الاستقلال السياسي فقط ، بل كانت تتوخى اقرار المساواة في الحقوق والواجبات . وفي عام ١٧٨٩ أضرمت

نيران الثورة الفرنسية ، ولعلها أعظم الأحداث طرًّا ، التي تمخضت عن حقوق الانسان والأقانيم الثلاثة « المساواة، والحرية، والاخاء » . وما من انقلاب سياسي أو اجتماعي أو علمي حدث عفواً ، بل مهد له أشخاص وقرنا بأسمائهم . فلا تذكر الثورات السياسية حتى يتبادر إلى الذهن إسم كرومويل. وواشنطن، وڤولتير، وروسو ... والأحداث الاجتماعية والاقتصادية مدينة لسان سيمون ، وپرودون ، وماركس . . . والثورة على الكنيسة تذكرنا بلوثيروس وكالڤن . . . والانقلاب في النظرية العلمية تمّ بفضل چاليكو وكوپرنكوس ونيوتن وداروِن وپاستور . . .

ظللنا قروناً تلو قرون ، ونحن نردد مع يسوع « لتكن مشيئتك » ونؤمن مع محمد أن « لا غالب إلاّ الله ». إن هذا الاسراف في الإيمان بالقضاء والقدر، انتزع من نفوسنا مبدأ المسؤولية وحرية المصير ، وقادنا إلى الاعتقاد إن الانسان لاتترتب عليه مسئولية ماضي هذه الدنيا . بل انه مجرد أداة تتلاعب بها يد جبارة تدعى القدر ، هذا الحصن الحصين من العقيدة التي تمخضت عنها الكتب المنزلة ، وقدست أجيالاً ، انهارت انهياراً يكاد يكون تامًّا لدى أول اصطدام بالثقافة الغربية . وأخذ العالم العربي يعيد النظر في كل ما توارثه مجتمعه من أنظمة زمنية وعقائد روحانية . لقد آمن أن الله علة كل شيء في الكون . وبما أن الله علة كل أمر، فباتت جميع قضايا الحياة موسومة بمشيئته ، ولا حول للانسان في تبديلها أو تعديلها . أما اليوم فقد بدأ يعتقد أن الجمعية البشرية ، لا الله ، وما سنته من نظم جائرة ، وأورثت من تقاليد وعادات ومساوىء ومفاسد ، مسؤولة عن نتائج هذا الميراث . فليس الفقر الذي يجعل الحياة جحيماً لايطاق آفة ربانية، بل هو خلل أخلاقي واجتماعي واقتصادي وسياسي . وليست الطبقات نظاماً أزليًّا ، ثابتاً كالطود ، مقدساً كالناموس ، وليست الأوثان الاجتماعية أرباباً. فالطبقات غير مستقرة ، وهي كالموج لا تنفك تعلو وتهبط تبعاً للعوامل والأحداث والانقلابات التي تنتاب الأمم والشعوب . فنشأ من هذا الاعتقاد ان من حق الانسان أن لا يقف مكتوف اليدين أزاء المساوىء العالقة بالمجتمع البشري . فكما أنه استطاع أن يحرر الطب من الكهانة ، وينزع غشاء الخرافة عن الامراض ، كذلك طفق يفصل ويميز بين المشيئة الربانية والمساوىء الاجتماعية التي سببها الانسان . إن هذا المبدأ الذي تسرّب الى

العالم العربي وغزا عقول أبنائه ، وبات عقيدة راسخة ، هو أعظم حادث في تاريخ هذه البلدان منذ أن أقلعت عن عبادة الأصنام ، وخصت الله وحده بالايمان والعبادة . ولهذا لا نعدم من يقول إن الغرب زعزع معتقدنا الديني وزرع الكفر في قلوب شبابنا ، ونسق التقاليد الجميلة التي سار عليها آباؤنا وأجدادنا . والحقيقة أن هذه الحرية الفكرية التي يمتاز بها الجيل الناهض ليست ثمرة الالحاد والكفر بالله والمثل العليا ، بل هي وليدة الثقافة الحرة الشاملة العميقة التي تنمي في الفرد شخصيته الانسانية ، وتجعله يتحلل ويتحرر من العقلية الرجعية المسيطرة على مجتمعه ، ويخضع الكثير من حوادث الكون ومظاهر الحياة إلى العقل والمنطق .

خضعنا طويلاً وبكل طيبة خاطر للنظام الأوتوقراطي الأجنبي الذي اعتمد الأساليب الأوليغاركية كي تضمن له البقاء والقوة . ولم نثر يوماً لنقلب نظام الحكم ونصلحه ونزيل مساوئه ومفاسده ، بل ثرنا مراراً عديدة على الأشخاص في سبيل أشخاص لا ينشدون سوى المنصب والجاه . وظللنا نؤمن ، إلى أن اتصلنا بالغرب ، ان السلطة تهبط من السماء ولا ترقى من الأرض . ولهذا لما تبرح ألسنتنا تلوك تعابير الذل والهوان والجهل التي خلقها العهد العثماني : الطريق للسلطان والماء للسلطان والأرض للسلطان لهذا الضرب من الحكم خضع الشرق العربي أجيالاً ، لا جهلاً منه بمبدأ الدولة ، بل لأن قروناً طويلة من الجهل والظلم والفوضى ، ثلاثة أقانيم تذكر ما ذكرت السلطنة العثمانية تلك الدولة « العلية » ، قد أرهقته وأماتت مواهبه وخنقت نشاطه

وكما استطاعت الثقافة الغربية أن تنمي الشخصية الانسانية في الفرد ، وتنبهه وترشده الى الحقوق التي خصته بها الحياة وتدفعه دفعاً لنيلها ، فانها قد أيقظت في النفوس الروح القومية ونشرت النزعة الوطنية . فهل أتيح لشعوب العالم العربي ، فيما خلا من العصور ، أن تشعر هذا الشعور وتفكر هذا التفكير ؟ . لقد خاض ألوف من السوريين غمار الحرب العالمية الأولى الى جانب الترك العثمانيين ، وهم يعتقدون انهم لا يحاربون إلاّ في سبيل قضية مشتركة وهدف واحد : مصلحة السلطنة العثمانية وتثبيت دعائمها . ولم تمض إلاّ سنوات قلائل على انتهاء الحرب حتى اجتاحت سوريا الشمالية ثورة ترمي الى طرد الأجنبي واجلاء

عن البلاد ، ولئن كان نصيب تلك الثورة الفشل من الناحية العسكرية الصرفة ، لكنها عملت على إنماء الشعور القومي .

إننا بلغنا المرحلة التي بلغها الشعب الفرنسي قبيل عام ١٧٨٩ . ويساورنا الآن ما كان يساوره يومئذٍ من رغبة في الاصلاح يشمل شؤون الاجتماع والاقتصاد والسياسة ، ونقمة على النظام الأوليغاركي المستفحل في أقطارنا على أراخين السياسة الذين جعلوها عملاً متوازناً خاصاً بهم محتكراً في أسرهم . إن الطبقة الشعبية في العالم العربي بدأت تستيقظ من سبات طال أمده وتتعرّف الى حقوقها في الحياة . ويتساءل أولئك الذين يرومون انهاض الشعب ويرغبون في الاصلاح الاجتماعي كما تساءل « سييس » : «ما هو الشعب ؟ – إنه كل شيء – وأي شأن كان له في النظام السياسي ؟ – لا شيء ؟ – ماذا يبتغي ؟ – أن يصبح شيئاً ذا قيمة » هذه الفكرة التي نشرت شراعها في العالم العربي هي بادرة التحرر من جميع الكوابيس وألوان الطغيان والظلم التي اتصفت بها القرون المنصرمة .

وربّ قائل يقول : وهل النظم الاجتماعية الحديثة التي انبثقت عن الحزبية خيرٌ من الأوتوقراطية التي ودعناها منذ أمد قصير ؟ لقد كان الملك يعد نفسه مسؤولاً أمام الله عن أعماله ، وليس للشعب أن يتطاول لمحاسبته ، أما الزعيم الحديث الذي تمخض عنه الحزب الذي يمثل إرادة الجماعة ، فمن ذا الذي تحدثه نفسه في محاسبته أو خلعه ؟

مما لا مشاحة فيه ان الأحزاب السياسية ظاهرة جديدة في مجتمعنا الحديث . وهي من جملة الأساليب التي تسربت إلينا من الغرب . فهي تقوم على تكتلات من سائر طبقات الأمة وتستند على مبادىء تستهدف خير المجموع وترمي الى اصلاح حياة الأمة من جميع نواحيها وهي ما أنشئت إلاّ لتقضي على تلك التكتلات التي يزخر بها العالم العربي ، والتي تتغذى وتستمرىء من اعتبارات طبقية اقطاعية بالية ، ونظرات طائفية متحدرة من الحذر والذعر والمقت والتكتلات الطائفية هي بمثابة دائرة مغلقة لا يتفاعل فيها تفاعلاً مطلقاً حرّاً إلاّ أفراد تلك الطائفة . وسوف تكون هذه الظاهرة حادثة فذّة في تاريخنا الحديث وسبباً من أعظم الأسباب التي تساعد على تطور الحياة في أرجاء العالم العربي . لقد يتم ذلك إذا أطلقنا في أقطارنا تيارات المبادىء الصالحة السامية التي تتيح للإنسانية الكامنة في كل بشري أن

تتفتح وتتآلف وتنمو وفق ميولها ونزعاتها ، لا التي تحارب النزعات الانسانية الصميمة كحرية العبادة ، وحرية العمل ، وحرية الوجود ، وتضحي بهذه المثل ، التي لا يسمو الانسان إلا بها ، لقاء هدف اقتصادي أو سياسي . والحزب بمعناه البعيد العميق مناوأة لأحكام القدر . هو سلم ليرقى عليه من لم يقدر له أن يولد في مهد النعيم ويرث الأمجاد والإمتيازات . وإننا لا نزال ننظر بامتعاض الى التكتلات الحزبية الحديثة ، ذلك لأنها أكثر مما تتآلف ممن ينشدون العدل الاجتماعي وإزالة المساوىء والغبن ، ولا نزال متأثرين بإرث الأجيال الغابرة التي حفلت بالتكتلات التي لم تستهدف سوى اغتيال القائم على شؤون الحكم واستلام المقاليد من يده وممارسة الأعمال التي يمارسها دون إحداث أي تغيير في الجوهر .

وليست الغرابة أن تتأثر المرأة بموجة التطور ، بل الغرابة أن تبقى بمنجاة من هذا التأثر والاتصال والاحتكاك . فلقد أتاح لها الاطلاع على الحركات النسائية في العالم ، ولكنها العلم الذي انتشر على درجاته ، ونشوء الصناعة الحديثة وازدهار التجارة وتنوعها ، أن تعمل وتكسب وتستقل اقتصاديًّا . كل هذه العوامل حدت بالمرأة أن تطالب بالإنعتاق من ربقة التقاليد لتعيش في مساواة تامة مع الرجل . ولكي تبلغ هذه الأهداف لم تجد بدًّا من التكتل والتعاون وإنشاء المنظمات النسائية بغية نقل حقوق طبيعية قد سلبها إياها المجتمع البشري ، وبلوغ إمتيازات خص بها الرجل من دونها وما فتىء يتمتع بها منذ أزمنة طويلة متغلغلة في القدم . فهل تستطيع المرأة أن تتغلب على سلطان التقاليد التي اعتبرت الرجل متفوقاً عليها في كل شيء ؟ وهل تستطيع أن تتملص من وطأة النصوص الدينية التي حرمتها المساواة الحقوقية ، والإقتصادية ، والإجتماعية ، التي قضت عليها باعتزال المجتمعات والتحجب ؟ إنّ العامل الاجتماعي المتوارث والوازع الديني ، قد ولدا في قلب المرأة التي تعيش في بيئتنا شعوراً دفيناً إنها دون الرجل ، وثبطا همتها كي لا تطمح الى ما يطمح ، وإنها لن تبلغ من الكمال ما يبلغ لأنها لم تؤت من المواهب ما أوتي . فوقر في ذهنها أنها خلقت لتسير في ركابه ، لا لتكون له نداً ، وأن تقوم على خدمته لا ليتعاونا في مضمار الحياة . فقنعت بهذا الحظ ولم تخطر الثورة يوماً ببالها . وإذا التاريخ الحالي وتغير الحالي لم يسجل

ثورة للنساء على الاطلاق . وليست العبرة في الحوادث الفردية المتقطعة الفورية التي تحمل طابع التمرد والغضب أكثر مما تتسم بميسم الثورة على أوضاع لا ترضي ونشدان أهداف تخلق الحياة خلقاً جديداً .

لا يزال الكثيرون يعتقدون أن المرأة الصالحة الفاضلة هي التي تلوذ ببيتها ولا تبرحه مطلقاً ، وتتحجب عن الرجل كي لا تثلم عفتها ونقاوتها ، وتجهل كل شيء . وقديماً وجد على قبر امرأة رومانية : « غزلت الصوف ولزمت بيتها » . لئن كان هذا الضرب من الحياة هدف المجتمعات القديمة أو المتأخرة ، فلم تعد هذه المبادىء السلوكية تصلح أن تكون أساساً نقيم عليه صرح حياتنا العائلية . فالمرأة المثلى في الوقت الحاضر ليست تلك التي تطغى فيها عناصر الأنوثة على عناصر المرأة ، وليس الفخر أن تجهل ما جلّ ودقّ من شؤون الحياة وأسرار الكون ، وليست تلك التي تعش عبئاً على ذويها وزوجها ، بل تلك التي لا تفيدها الأنوثة إلاّ لتؤكد خصائصها وتبقيها متميزة عن الرجل في كثير من الأمور ، والتي تسعى لكسب المعرفة وتحصيل العلوم وتذوق الفنون على اختلاف أنواعها . وسوف تشتد الحاجة الى المرأة بمقدار ما تتطور امكانياتنا الاقتصادية وأحوالنا السياسية والاجتماعية . ثم ان الآلة قد عدت على المرأة وزاحمتها وبزتها فيما اختصت بها من الأعمال من كساء ومأكل ومشرب . فأصبح لا مفر للمرأة من أن تخرج الى الحياة لتقضي على السأم الذي ينتابها ، وتتعرّف العالم الذي عرفته في الكتب .

هذا هو الصراع العنيف الذي شرعت به المرأة في العالم العربي منذ مطالع هذا القرن . ويقيني ان المصلحين في بلادنا سوف يتساءلون عما اذا كانت المحافظة على وضع متوارث وعقائد متوارثة ، قضت بالتفاوت الاجتماعي بين الجنسين ، لا تؤخر نشوء المجتمع الأمثل . فهل يكتب النصر للرجل تعضده تقاليد وشرائع مقدسة وتفوّق جثماني ، أم يكتب الفوز للمرأة ولا سلاح لديها سوى فتنة خالدة ، وإيمان مطلق بالحق ، وكفاءة مغمورة لو انطلقت من عقالها لقلبت أسس الحياة كلها وغيرت وجه التاريخ ؟ ! ! .

صافيتا (سوريا) الياس يعقوب

تلمس في الظلام

روعة في الظلام تقري فؤادي   ذكريات تسمو لأعصر عاد
خاطرات فاض الجلال بجنبيها   وصوت مجلجـــل الأرعاد
أشأم الركب واثقاً بهداه   ما لقلبي يجد في أنجاد ؟
أيها الـكوكب البعيد أفض لي   بسناً خاض شاسع الأبعـاد
كم ملايين عالم قد تلاشى   وهو في سيره لهذي العباد
يا ترى هل درى بأني صاآتي   حين شقَّ الأثير شطر بلادي ؟
أم درى انني أضيع أهدافي   فقد جاء آخذاً بقيـادي
تهت واضيعتي فذي السحب   قد وافت لتغتاله على ميعاد
أشرقي يا نجوم فالقلب حيران   وقد غشه غنـــاء الحادي
خلص الحي تحت موج غطيط   وغزتني الأحلام دون رقاد
أأنا النائم المجد بأحلامي   أم الحي...؟ قد أضعت رشادي
أنزفت خمرةَ الحمى ثورة الحق   فهل نافعي الغداة حيادي ؟
أنا في باطلي استرحت فلا لاح   ليوم الرشاد فجر هادي
واذا كنت في نعيم من الأحلام   فليذك محـــرقي ايقادي
أنا في جنة بوحي خمار   الروح فليمس في الجحيم مهادي
شيدتها خواطـــر باسمات   ورمت من تفاؤلي بعماد
ركبت صفرتي مهامه يهماء   وأضنى المطي طول السهاد
ويل قلبي تبددت بسمات   الروح إذ ريع صبرها بنفاد
أتعب القلب باجتراء المآسي   وزماني يأبى نفـاد الزاد
ربَّ موج قد خضته بادي الأهوال إذ هاج مرعب الأزباد
فتعاليت عاصفاً يملأ البحر   اضطراباً ولا يضام بعادي
ثم إذ عدت صارخاً بالشواطي   ردَّد الصخر رهبـة ارعادي
ألفت روحى الظلام أنيساً   إذ أتى النور بالمساوئ بادي
واحتست بالسكون سلوى   بأرواح تغنت سحرية الأنشاد

وإذا الوحش قد أخاف فلم يمس كبغي الانسان للفتك صادي
وألفت القبور إذ ميتة الأرواح شرٌّ من ميتـة الأجساد
أيها الراحلون خلفكم العمران ما انفــكَّ منتناً بالفساد
ولقد طفت والظلام بأكوام تراب زانت قرار الوادي
ته جلالاً فما أجلك وادي فيه دكت حواضر وبوادي..!
كم قبيل زاحمتـه بقبيل وبلاد طحنتها ببلاد . . . !
(ربَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكاً من تزاحم الاضداد)
أيها الراقدون هبوا لعصر النور ما يومنا بيوم رقاد
أوَما آن للقبور انبعاث في عصور أنطقنَ صلدِ الجماد
غير ان الحياة عالم نقص ووجود مصــيره لفساد
أترعت كأسها زعافاً وشهداً أرأيت الأشواك في الأوراد ؟
لا تخالوا ابتسامها غير هزء ما حنى العطف منجل الحصَّاد
عبراً للوعاة يتلو فم الدهر سطـور الابراق والأرعاد
غير أن الحجيج من ضجة العيس أضاع المرمى وضلُّ الحادي
هو ذا الله في الوجود تجلى ببديع الآثار للــروَّاد
في حياة النبات ، في عشش الطير وفي نغمة الهزار الشادي
قال قوم أنى تعود جسوم أعقبت نارها خمود رماد ؟
وهبوط النفوس للعالم السفلي فيضٌ فـلم ترد الأيادي ؟
غير ان الزهور تفنى ولـكن مودعات البذور سرٌّ من السرّ (المعاد)
وكذاك الأرواح تهبــط للأرض ليكسى الـكمال (ذو استعداد)(١)
انما الصعب أن تسيرك الروح بعيداً عن غائل (الاتحاد)
ربما راعه الوجود فهلاَّ رحموا منه صرخة الميلاد
والذي حير العقول (وجود جوهري مجرد) غير بادي

(بغداد) ضياء الرخيلي

---

(١) كما يرى فلاسفة الاسلام وابن سينا في عينيته

قصة مترجمة

أم من الجحيم

مرسيليا، ذلك الميناء العظيم الذي يؤمه آلاف السياح والبحارة كل يوم، ذلك الميناء الذي يجمع بين الفضيلة والرذيلة، فبجانب كنائسه الأثرية، ورجال الكهنوت الأتقياء، تقع الأزقة المظلمة حيث تمرح الرذيلة في واد خصيب مفعم بالغانيات اللواتى يبعنَ قلوبهنَّ واجسادهن، حيث يشرى الهوى الرخيص، وتباع الأفئدة والأجسام. ومن هذه الأزقة المظلمة، زقاق النساء، مُقْبض كئيب فيه زمرة الساقطات، وقد جذب اليه رواد اللذة البهيمية، فتراه بحاناته الصاخبة، ودور اللهو المتناثرة على جانبيه، كأنه مربع الشيطان، أو قطعة من الجحيم. وفي منتصف ذلك الشارع يقوم منزل سكنته أسقط النساء أخلاقاً، وأرذلهنَّ طباعاً، وأبعدهنَّ عن الانسانية صفات، كما أنه أردأ المنازل بناءً، وأوحشها مكاناً فكأنهما صنوان، هي من ناحية الأخلاق، وهو من ناحية البناء. إسمها «چورچيت» دنت على الاربعين، ممتلئة الجسم متوسطة القامة، تحمل في وجهها طابع جمال قديم أفسدته الخمور وحياة اللهو والمجون. ولتلك المرأة عشيق يدعى «چون» وهو بحار قديم ضخم الجثة، فاسد النزعات، ذري الهيئة، ذا وجه متغضن قبيح، طبعت فيه ندبة طويلة هي بقية معركة أصيب فيها بطعنة سكين، وهو فوق ذلك من الرجال الذين اتخذوا من قوتهم وشراستهم سبيلاً للتسلط على النساء الساقطات وابتزاز المال منهنَّ.

وفي الغرفة الوحيدة بذلك المنزل التي يمكن أن تكون سكناً لآدمي، أو مأوى لحي يرزق أو لا يرزق، جلست چورچيت الى جانب عشيقها چون يتناجيان الغرام مع كؤوس من خمر النبيذ، وتجول في ذهنى كل منهما أفكار عتيقة، طالما منّى كل منهما نفسه بتحقيقها، يحدوهما اليأس لحظة ويدفع بهما الأمل أخرى. أمَّا تلك الأحلام والخيالات فكانت لكل منهما خاصَّة بنفسه.

— لمَ هذا السكوت ياچورجيت.

— أفكر. . . لا . . . لا ياجون . . . ليس ببالي شيء.

— إذن، فماذا؟ أجئت لأراك كتمثال صامت، أم هناك رجل آخر !!!

— كلاً ياجون ـ أقسم لك إني لم أفكر في رجل سواك ولم يخطر بفكري إنسان غيرك

وهنا يميل جون الى الوراء في مقعده بارتياح ويتناول كأسه فيشربه حتى الثمالة ، ويمسح شاربه الـكث بطرف كمه القذر .

— اليكِ مفاجأة سارة ، سوف نتزوج ياجورجيت .

— نتزوج ! أتهزل أم لعبت برأسك الخمر ؟ .

— فضحك جون وانطلق يقول بصوته الأجش ، كلاّ لا تلعب برأسي الخمر ، ولـكن جمالك الذي لعب بقلبي . قلبي الذي لم تتمكن مخلوقة سواك من الدنو منه ، فحسنك قد ملك عليَّ مشاعري وطار بلبي ، لست هازلاً ياجورجيت — أتقبلينني زوجاً .

— بالطبع ياجون . فان نفسي لا تتوق إلى أكثر من هذا . . . ولـكن . . .

— ولـكن ماذا .

— لا بدَّ لي من الذهاب إلى أمريكا .

— أمريكا ، وما علاقتك بأمريكا ، وقد ولدتِ وعشتِ في مرسيليا فلم تغادريها قط ؟

— إنك لا تعلم ياجون ، فهناك دافع قوي يرغمني على الرحيل في أقرب فرصة .

وعلى بعد خمسة آلاف ميل من مرسيليا ، جلست فتاة في هايد پارك بأمريكا تردد تلك الـكلمات « لابدَّ لي من الذهاب إلى مرسيليا » . وهي فتاة طويلة القامة ، ممشوقة القد هيفاء ، ذات عينين زرقاوين فيهما سحرٌ ودلال ، ولها شعرٌ أصفر جميل مسترسل فوق كتفيها كأنه خيوط من الذهب ، وفم كالياقوت إذا أفتر فعن أسنان كأنها اللؤلؤ ، ووجه باسم ضحوك مليء بحرارة الشباب ، وبجانبهـا جلس « ديك موريس » وهو فتى وسيم الطلعـة ، مهذب الأخلاق ، مثقف راقي التعليم ، بسم له الحظ فجمع الى الشباب والمـال سعادة الحب وراحة البال فهو « وتيريز » متحابان .

— أريد أن أرى مرسيليا يا ديك.

— لا مانع عندي يا عزيزتي تيريز ، فلنمض شهر العسل هناك .

— لا ياديك ، لقد أسأت الفهم ، إني أريد أن أذهب الى مرسيليا بمفردي قبل الزواج ، لأن هناك أمراً هامًّا يدعوني إلى ذلك .

— ولـكني ما سمعتك يوماً تذكرين مرسيليا ، ولم أعهدك أبداً تتوقين للذهاب إليها .

— لقد علمت أشياء كثيرة بعد وفاة المرحوم والدي ، فإن والدتي يا ديك ما زالت حيـّة ترزق .

— ما زالت حية ، وتقيم بمرسيليا ! كلنا يعلم أنك يتيمة الأم منذ فجر حياتك .

— هكذا كنت أعتقد ، ولكن ظهر لي من خطابات لوالدي إطلعت عليها بعد وفاته أن لي أمًّا ! أمًّا لا تزال على قيد الحياة ، وتعيش في مرسيليا ، فصممت على أن أرى تلك المخلوقة التي أوجدتني في الحياة . أراها يا ديك فأنعم بعطفها وحنانها وقد حرمت منهما منذ طفولتي .

— ولكن ما السبب الذي دفع والدك إلى إخفاء تلك الحقيقة عنك .

— لست أدري ، وظني أن كان هناك خلاف شديد بين أبي وأمي دفعه إلى إخفاء أمرها عني وإبعادي عنها، وقد ظهر لي ذلك من خطاباتها وتوسلاتها إلى والدي ، واسترحامها إياه ورجائها الحار الشديد أن تراني . أليس من واجبي بعد كل هذا يا ديك أن أراها ؟

— أتعلمين أين تسكن .

— نعم ، إنها تسكن المنزل رقم ١٦ بزقاق النساء بمرسيليا .

* * *

وفي المنزل رقم ١٦ جلست جورجيت بجانب عشيقها يتبادلان الحديث .

— أما زلت مصرّة على السفر لأمريكا .

— بكل تأكيد يا جون.

— إذن فلنتزوج أولاً ونرحل سويًّا لتمضية شهر في ربوعها .

إرتسمت على وجه جورجيت أمارات الفرح والانشراح ، وارتمت بين يديه تقبله في حرارة وحنان.

— أحقًّا ياجون سنصبح زوجين شرعيين ، ونقف أمام القسيس، أنت بثوبك الأسود، وانا بثياب الزواج البيض ؟ . . . ثم تنحدر على خديها دمعة كبيرة .

— كفى هذراً ، إذهبي فأتنا بالخمر والنبيذ لنشرب نخب زواجنا .

تقبله جورجيت وتهرع الى الخارج لتشتري خمراً ونبيذاً بينما ، ينتظرها جون مشعلاً سيجارته لاعقاً شفتيه انتظاراً للخمر في لهفة ظاهرة .

— إنكِ تضحكينني . ما بالكِ تطرقي الباب ، أذلك من عادتك . . . ادخلي

تدخل تيريز فيهولها منظر المنزل القذر وبشاعة الرجل الذي فزع من مكانه حال رؤيتها كأنه ذئب جائع أنقضّ على فريسته . فتراجعت تيريز الى الوراء بخطى مرتبكة ، وقلب ملؤه الشجون ، وأخذ صدرها يعلو ويهبط كأنه كير الحداد ينفخ بشدة ، وقالت لي في انزعاج :

— أهذا منزل مدام جورجيت .

— «هاها ، وماذا تريدين من جورجيت ، تَعَالَي يافاتنتي». واندفع نحوها مسرعاً قبل أن تولي منه وضمها بين ساعديه القويتين ، فمضت تصرخ وتستنجد ، ولكن حملها ذلك الوحش الآدمي وألقى بها على السرير وارتمى الى جانبها محاولاً اسكاتها .

— « اتركها يا وغد » ـ فالتفت جون فرأى جورجيت على عتبة الباب وبيدها زجاجة الخمر تهدد بها وتتوعد وعيناها تشتعلان غضباً وغيرة وقلبها يخفق بالندم والحسرة .

***

ترك جون تيريز وتحرك نحوها في هدوء وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة .

— أتحدثينني بهذه اللهجة يا عاهرة . ويرفع يده ويهم بلطمها فتهوي على رأسه بالزجاجة فتتحطم ويسيل منها الخمر مختلطاً بدمه . فيفقد الوعي وتجره جورجيت الى الخارج وتوصد الباب ، ثم تعود الى الفتاة تريد افتراسها وتتمنى لو مزقها إرباً إرباً ، فقد خيل اليها أنها عشيقة أخرى لجون ، وهالها أن تجرأ على زيارته في منزلها .

— وأنت أيتها الفاسقة . . ماذا تريدين ؟

— لا أريد شيئاً يا سيدتي ، لا تسيئي ظناً ، فقد أخطأت منزل مدام جورجيت .

— لم تخطئي ، فأنا مدام جورجيت وماذا تريدين من مدام جورجيت ؟

وتنطلق في قهقهة عالية فتدوي تلك الكلمات فى أذني تيريز فنظرت الى المرأة بعينين يخال إليك أنهما تصلبتا ، وظلت كذلك برهة كأنها الدهر ، وارتمت على السرير ودفنت وجهها في الوسادة . وجسدها البضّ يرتجف من الانفعال ، وتمتمت بكلمات كالمخبول . . .

أ أمي هذه العا . . . يا لتعاستي ويا لشقائي . . .

— ممتك تقولين أمي . . فما بال والدتك .

— ويلاه . . . أنت أمي .

— « أنا أمك ! أأنت تيريز ، حبيبتي تيريز ، تعالي يا بنيتي لأضمك وأقبلك ألف قبلة فأروي ظمئي ولوعتي من وجهك الفتان وعينيك الجميلتين . يا لها من حلاوة اللقاء بعد طول الحرمان » وتندفع نحوها فاتحة يديها لترتمي في حضنها فتدفعها تيريز باشمئزاز واحتقار فتدرك جورجيت الحقيقة المرّة المؤلمة ، وتتذكر أنها عاهر من بنات الشيطان وان تلك الفتاة البريئة الجالسة اليها تأنف من الانتساب اليها وتحمر خجلاً حتى من التفكير في أمومتها.

— يطرق الباب ، ويدخل ديك موريس ، ويتقدم الى تيريز ، مدهوشاً صائحاً . « تيريز ،

هل أصابك مكروه ، يا إلهي : ما هذه الغرفة ، ومن تكون المرأة » .

— هي أمي يا ديك . ويلاه لقد تحطم مستقبلي واسودت أيامي ، فلن أستطيع بعد أن علمت تلك الحقيقة أن أقرن اسمي باسمك .

— دعينا من كل هذا يا تيريز ، ولا تكوني عنيدة ، فحبي لك لا يقوم في سبيله شيء

— كلاً يا ديك فلن أرضى لك بهذا ، لقد كان المرحوم والدي محقـًا في ابعادي عنها ليتني ما رأيتها وما علمت بمكانها .

— « أمات أبوكِ يا تيريز ؟ وتنظر الى ابنتها نظرة تنطوي عن أمر خطير .

— نعم ، رحمه الله .

— أما وقد مات فلا داعي لاستمراري في تمثيل هذا الدور ، وتحطيم حياتك ، فاطمئني يا صغيرتي ، فاني لم أكن لكِ أمـًا ولم يكن غرضي الا ابتزاز المال من والدكِ .

— أحقـا ما تقولين ؟

— نعم ، أيتها الصغيرة ، كنت أعمل خادمة عند والدتك وألممت بالشقاق الذي كان بينها وبين أبوكِ ، وبعد موتها اعتزمت الاستفادة من هذا الموقف ماليـًا . أما الآن فقد انتهى دوري فاذهبي يا صغيرتي ، فان والدتكِ كانت امرأة من أشرف العائلات وأرفع من أن تحيا هذه الحياة التي أحياها .

انحدرت على خدي تيريز دموع الفرح وصاحت مهللة : أسمعت يا ديك ؟ انها اقصة .

ابتسم ديك وقبلها ولكن لم يخدعه هذا التمثيل من جورجيت ، فان الشبـه بين الأم والابنة كان أقوى من أن يحتمل الشك . تقدم الخطيبان الى جورجيت لمصافحتهـا وفي عين تيريز نظرات الفرح والانشراح ، وأما ديك فقد حدجها بنظرة كلها إعجاب وتقدير لتلك التضحية النبيلة .

* * *

وفي الصباح ذهب ديك الى منزل جورجيت ليشكرها ويقدم لها مساعدة أو ليبحث لها عن عمل ، فوجد بالباب جمعاً يتصايحون ، فتقدم من أحدهم سائلاً ، فيعلم أن جورجيت الفاتنة قد انتحرت لأسباب لا يعلمها أحد . فيعود ديك متثاقلاً مطرقاً برأسه ويذكر أن هذه المرأة الساقطة ، إنما كانت تحمل بين جنبيها قلباً من ذهب .

محمد جلال مظهر

عالم العين

شعر علمي

هي العين أعجوبة الخالقِ   تفنّد سفسطة المارقِ
تجمّع شمل العوالم في   مركز بؤرتها الدانق(١)
تلاقت بكوّة انسانها   رؤوس الأشعة من شارق
بها تتصيّد أقصى النجوم   وتختطف اللمع من بارق
فلا تتصاعد الى شاهقٍ   لك السر ينقضُّ من شاهق
فتتلوه في صفحات الضيا   يذبذب مع موجه الصافق

* * *

هي العين باب الخيال الذي   يرحّب بالشبح الطارق
فزاحم فيه الخيالُ الخيال   ولاحقه انقاد للسابق(٢)
خلايا الدماغ تمثلنها   تماثيل للخاطر الرائق
فعانقها الفكر يشتاقها   عناق المشوّق للشائق
وشاد بها العقل عرشاً   يُنَصّ لدولة منطقه الناطق
أذلّ الشعور لسلطانه   وأعلى الضمير على العاتق
ولم يتمرّد سوى شهوة   تعيثُ بطائعها الفاسق

* * *

ألا كم فُتنتِ بسحر الجمال   وكم كنتِ مفتتنَ العاشق
وليس الجمال سوى ما رسمت ،   رسومُ تخيلك السارق
سرقتِ الطبيعة شكلاً ولوناً   ولفقتِ رسمك كاللافق
وزورت حق الحقيقة حتى   تماديت في فنك الماذق(٣)
حسبت المجاز أتم وأسمى   وفنك أفوق من فائق
يقوم الحقيق لدى ناقدٍ   ويهوي مجازك من حالق
خلقتِ من الوهم حسناً خلبتِ   به الظن كالخلّب البارق
وما الحسن في قسمات الحبيب   بل الحسن في مقلة الوامق(٤)
ويختلف الذوق بين الأنام   فما في الذوق بل الذائق

---

(١) الدانق الغائر يقال دنقت العين اذا غارت (٢) اشارة الى تسلسل الافكار وائتلافها . فكل فكر أو خيال ينبه الى غيره (٣) الماذق الكاذب (٤) الوامق المحب

مليحكِ مج لغيرك والحب   يملي البديع على النامق (١)

* * *

وما الشعر الاَّ الذي كنتهِ   من السحر للشاعر الحاذق
ففيك المباني ومنك المعاني   ولستِ بيان الحجى الصادق
وكم كنتِ للقلب أدواءه   وحملتِ وزركِ للخافق
وبرئتِ في الروض عيانةً   وجرِّم في سجنه الساحق (٢)
أفي العدل أن تنعمي بالجمال   ويلتاع في وجده الماحق (٣)

* * *

عجيبٌ : تراشقنا بالسهام   وتبقى السهام مع الرانق
ويحرق قلب الشجي لحظها   وينجذب القلب للحارق
كأنَّ القلوب فراشٌ ترامت   على وهج ناظرها الحادق
وما الكهرباء كهاروتها   به رعدة الوامض الصاعق
اذا فاض شعشعُ ألحاظها   يفيض غرام الفتى الرامق
أتعرض تبغي مداراته ؟   فحسبك ذكراه من راهق

* * *

قبلت الغرام وأعطيته   كذوبٌ يمنُّ على صادق
وكسر الجفون وسكر العيون   هما شيمة الفاتن المالق
خفوق الفؤاد وطول السهاد   هما لذة الهائم الغارق
لكم خاب فيك شهيُّ المنى   وغررتِ بالآمل الواثق
إذا عشقوا كحلاً فيك تهتِ   وأسرفتِ في كحلكِ الماذق

* * *

وما أنتِ الاَّ حليفة ضوء   يريك سنى مجدك السامق (٤)
فلولا الضياء لما كنت الاَّ   سجينة سجن الدجى الغاسق
إذا غاب عنكِ يغيب الوجودُ وتشقين في وهمكِ الزاهق
فلا تتجني على القلب وهو   المغذيك من دمه الدافق
ولا تطمعي النفس بالشاهيات   فتهفو اليها بلا فارق
وعطفاً عليها ورفقاً بها   كعطف الرفيق على الرافق
فيا كوكب الله في أرضه   جلوتِ لنا عظم الخالق

نقولا الحداد

---

(١) النامق الكاتب (٢) الساحق العميق ، البعيد (٣) الماحق المحرق (٤) السامق العالي

تخريج كتاب الملل والنحل

للشهرستاني (١)

— ٢ —

ا — التخريج العلمى

(١) قيمة التخريج العلمي : (ا) من أقوى الأسس لبناء نهضتنا العلمية . (ب) يجب علينا أن نقرر قواعده نظريًّا وعمليًّا . (جـ) كما يجب — أولاً — أن نعرض نماذج مختلفة منه . (د) أول ما يلفت النظر في أمر التخريج العلمي .

(٢) نماذج مختلفة للتخريج العلمي : (ا) مثالٌ للإفراط : (١) تخريج عزيز سوريال كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي . (ب) مثال للتفريط : (٢) تخريج فيليب حتي كتاب مختصر الفرق بين الفرق للرسعني . (جـ) مثال للجمع بين الإفراط والتفريط : (٣) تخريج انستاس الكرملي كتاب النقود العربيـة وعلم النُّمِّيات . (د) أمثلة للتخريج المضطرب الحائر بين طرفي الغلو والتقصير : (٤) تخريج أرثر أربري كتاب التوهم في التصوف للمحاسبي (٥) تخريج يوشع فنكل كتاب ثلاث رسائل للجاحظ (٦) تخريج ألفرد جيوم كتاب نهاية الأقدام في علم الـكلام للشهرستاني . (٧) تخريج باول كراوس كتاب مختـار رسائل جابر ابن حيان . (٨) تخريج كراوس والحـاجري مجموع رسائل الجاحظ . (٩) تخريج نيبرج كتاب الانتصـار للخياط . (١٠) تخريج أحمد زكي باشا كتاب الأصنام للكلبي . (١١)

---

(١) هذا هو عنوان الرسالة التي ناقشتها اللجنة الخماسية المؤلفة لذلك بدار كلية أصول الدين برئاسة سعادة الدكتور منصور باشا فهمي ، والتي حصلت بها على شهادة العالمية من درجة أستاذ بدرجة ممتاز في التوحيد والفلسفة من الجامعة الازهرية بتاريخ ٢٤ من جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٦ من مايو سنة ١٩٤٦ م

تخريج احمد نسيم (دار الكتب) ديوان مهيار . (١٢) تخريج زيادة والشيال كتاب اغاثة الأمة للمقريزي . (١٣) تخريج زيادة كتاب السلوك المقريزي . (١٤) تخريج احمد أمين والزين والإبياري كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه . (١٥) تخريج احمد أمين والزين كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان . (١٦) تخريج احمد شاكر كتاب المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي . (١٧) تخريج الميمني كتاب سمط اللآلي للأوبني — (١٨) تخريج ريتر كتاب مقالات الاسلاميين للأشعري — (١٩) تخريج ريتر كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ـ (٢٠) تخريج ماضي كتاب ابناء الزمن في أخبار اليمن ليحيى بن حسين .

ه — ما تدل عليه هاتيك النماذج جملة

و — وجوب تقريرنا لقواعد التخريج العلمي وتثبيت مصطلحاته .

(٣) تقريرنا لقواعد التخريج العلمي نظريًّا : (ا) رغبات وحرص (ب) صبر وحذر (ج) ما يجب أن يكون عليه المخرج (د) الواجب على المخرج (ه) ما لا بد منه للمخرج (و) متى نطمئن الى التخريج العلمي ونعتمد عليه .

(٤) تمهيدنا لقواعد التخريج العلمي عمليًّا : (ا) اجمال المراحل العملية (ب) جمع المصادر وترتيبها .

(ﺟ) نقد النصوص داخليًّا (١) حال وصولها . عن طريق المؤلف ـ (٢) حال وصولها عن طريق النساخ (٣) حال وصولها عن طريق الناقلين عن المؤلف . (د) نقد النصوص خارجيًّا : (١) الواجب على المخرّج (٢) التعليقات المقدمات . ه ـ ثم لا بدّ من : (١) تقسيم الكتاب . (٢) وعمل فهارس له .

٣ — تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني

(١) تخرّج وليم كيورتن للكتاب : (ا) هل خرّج كيورتن الكتاب تخريجاً علميًّا ؟ (ب) الأصول التي اعتمد عليها كيورتن (ﺟ) منهج كيورتن في تخريج الكتاب نظريًّا (د) تلخيص نظرية كيورتن (ه) مخالفة كيورتن عمليًّا لكل ما رسمه لنفسه نظريًّا من : (١) فحص الأصول جميعاً (٢) تخريج نص خاص يوافق عليه المؤلف (٣) نقل القراآت المختلفة بكل أمانة (٤) التصحيحات والملاحظات الخاصة . (و) إحساس كيورتن

بضعفه ومحاولته الإعتذار . (ز) كيورتن يفضح نفسه بنفسه (ح) رفضنا لطبعة كيورتن مشكوراً .

(٢) منهاجي العملي في تخريج الكتاب : (ا) وصل القارىء بقواعد التخريج السابقة (ب) سبيلي العملية : (١) نسخ الكتاب بخطي مراراً (٢) البحث والتنقيب في المكتبات العامة والخاصة (٣) جمع الأصول (٤) اصطفاء المتن وتصفيته (٥) إعراض عن لغو النساخ بعد عميق البحث (٦) أمثلة لهذا اللغو الذي أعرضت عنه (ج) ثم تقسيم الكتاب (د) ثم التاريخ لعصر المؤلف (ﻫ) ثم التاريخ للمؤلف .

(٣) الاستعانة بذوي الخبرة والمتخصصين (ا) مراجعة فضيلة الشيخ عيسى منون (ب) مراجعة الدكتور أحمد زكي بك (ج) مراجعة الأب يوسف العضم اليسوعي (د) مراجعة الأستاذ عبد العزيز إسحاق (ﻫ) مراجعة الأستاذ عبد العزيز عبد الحق (و) جولاتي في الكتاب ، (ز) تقديم الكتاب إلى الناس جميعاً .

(٤) الأصول التي اعتمدنا عليها في تخريج الكتاب : (ا) الترجمات (ب) المجموعات التي بلغت إثنتى عشرة مجموعة وهي : (١) ص : مطبوعات مصر على الهامش (٢) ع : مطبوعات مصر مجردة ـ (٣) ل : مطبوعات أوروبا (لندن وليبزج) ـ (٤) س مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٩٧٧ (٥) ني مخطوطة بدار الكتب أيضاً رقم ٦٩٤ (٦) لث : مخطوطة ثالثة بدار الكتب رقم ١٣٩٠ (٧) مر : مخطوطة محمود بك السبع (٨) سث : مخطوطة ثانية له وأخرى بالمكتبة الأزهرية رقم ١٤٧٣ توحيد (٩) سع : مخطوطة ثالثة ملكه أيضاً (١٠) بـ : مخطوطتنا (بدران) ١١(ا) : مخطوطة بالمكتبة الأزهرية رقم ٤٣١ توحيد (١٢) وثالثة بها رقم ٤٧٤ أباظة .

٤ — تقسيم كتاب الملل والنحل للشهرستاني

(١) هل قسم الشهرستاني كتابه : ا — يصمم الشهرستاني على كونه رياضيًّا أيضاً . ب — قوله إنه قسم كتابه على مناهج الحساب (المقدمة الخامسة) . ج — الحق إنه لم يقسمه ، أو لم يصل إلينا تقسيمه د — مراتب الحساب والاختلاف في الواحد والعدد .

(٢) المقدمة الخامسة وكبار المتخصصين : ا — عجزي عن فهم تقسيم الكتاب من

هذه المقدمة . ب ـ عجز هاربركر الألماني عن فهمها وإسقاطه إياها . ج ـ عجز كيورتن أيضاً عن فهمها . د ـ رأي الدكتور أحمد زكي بك فيها . هـ ـ رأيي بإزاء هـذه المقدمة . و ـ هل هناك صلة بينها وبين الرياضيات الفيثاغورية .

(٣) هل قسم أحد الكتاب تقسيماً صحيحاً : ا ـ ما ذكر في صدر المخطوطة « س » ب ـ تقسيم هاربركر .

(٤) تقسيمنا للكتاب : ا ـ التودد الى أبي الفتح والرجوع إليه دائماً . ب ـ إسراره لي بالتقسيم (ج) تقسيمنا يوافق روح المؤلف ومراميه . د ـ تقسيمنا للكتاب جملة . (هـ) تفصيل موجز لهذا التقسيم و ـ إجمال ما فصّلنا .

(٥) شكر وعرفان (وبعد) : « ا » شكر الدكتور ماضي . (ب) شكر الأستاذ كونس (ج) شكر الأستاذ ماسينيون

***

القسم الثاني ـ الشهرستاني وكتابه الملل والنحل

١ ـ عصر الشهرستاني

(١) وجوب دراسة العصر .

(٢) التحديد الزمني لعصر الشهرستاني .

(٣) مصادرنا عن عصر الشهرستاني : ـ ا ـ المجموعة الأولى : المصادر المعاصرة له . ب ـ المجموعة الثانية : المصادر المتوسطة . ج ـ المجموعة الثالثة : المصادر الحديثة .

(٤) الرقعة الاسلامية في عصره .

(٥) الحال السياسية في عصر صاحبنا ا ـ في العراق : ب ـ وفي خراسان أيضاً ج ـ وفي مصر د ـ وفي المغرب . هـ ـ ثم الفرنج ، و ـ والباطنية .

(٦) الحال الاجتماعية وتشمل فيما تشمل : ا ـ الحياة العقلية . ب ـ الحياة العلمية . ج ـ الحياة الدينية . و ـ الحياة الأخلاقية هـ ـ الحياة الاقتصادية .

(٧) وبعد : إجمال حال العصر وما يتطلبه .

٢ — الشهرستاني

(١) مصادرنا عن الشهرستاني : ا — المجموعة الأولى : المصادر المعاصرة له . ب — المجموعة الثانية : المصادر المتوسطة ج — المجموعة الثالثة : المصادر الحديثة . د — دراسته من شيوخه هـ — دراسته في كتابه الملل والنحل .

(٢) نسبة الشهرستاني .

(٣) مولده ووفاته : ا — الاختلاف في مولده . ب — الاختلاف في وفاته . ج — تحقيقنا تاريخ مولده . د — تحقيقنا تاريخ موته .

(٤) اسمه وكنيته .

(٥) مذهبه وشيوخه : ا — احمد الخوافي . ب — أبو القاسم الانصاري . ج — أبو الحسن المدائني . د — أبو نصر القشيري . هـ — أشعرية صاحبنا وشافعيته .

(٦) ألقابه العلمية .

(٧) اشتهاره بالفلسفة في زمنه .

(٨) اتهامه بالميل إلى الباطنية والغلو في التشيع . ا — تحقيق ابن السبكي . ب — تحقيقنا .

(٩) رأي أعلام العصر الحديث فيه : ا — رأي هاربركر الألماني ب — رأي كرادي فو الفرنسي . ج — رأي ألفرد جيوم الانجليزي . د — رأي مصطفى عبد الرازق المصري .

(١٠) آفاقه العلمية : ا — وهو رياضي أيضاً . ب — وهو محدث : ج — وهو مفسر . د — جملة آفاقه العلمية .

(١١) رحلاته : ا — بين خوارزم وخراسان . ب — بين مكة وبغداد . ج — رجوعه إلى خوارزم وخراسان . د ـ مجالسه . هـ ـ تقريرنا .

(١٢) لغاته : ا ـ اللغة العربية . ب ـ اللغة الفارسية . ج ـ اللغة اليونانية : رأي هاربركر ، رأينا . د ـ خلاصة رأينا في لغاته .

(١٣) وعظه وتصوفه : ا ـ وعظه . ب ـ وتصوفه . ج ـ حكمنا .

(١٤) اتصاله بالحكام : ا ب اتصاله بالوزير نصير الدين . ب ـ اتصاله بالسلطان

الأعظم سنجر . ج ـ هل أثر ذلك عليه ؟ .

(١٥) كتبه : (ا) كتبه التي وصلت الينا : (١) الملل والنحل (٢) نهاية الاقدام في علم الكلام .

(ب) كتبه التي لم تصل الينا بعد: (١) الارشاد الى عقائد العباد (٢) الاقطار في الأصول . (٣) تاريخ الحكماء (٤) تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام (٥) دقائق الأوهام (٦) شرح سورة يوسف . (٧) العيون والأنهار (٨) غاية المرام في علم الكلام (٩) قصة موسى والخضر (١٠) المبدأ والمعاد (١١) مجالس مكتوبة (١٢) مصارعة الفلاسفة (١٣) مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار (١٤) المناهج والآيات (١٥) شبهات أرسطاليس وبرقلي وابن سينا ونقضها (١٦) نهاية الأوهام

(١٦) نهاية الأوهام (١٦) وبعد : رأينا في أبي الفتح

٣ ـ كتاب الملل والنحل للشهرستاني

(١) تقديم الكتاب : (ا) تقديم هاربركر (ب) ذيوع صيته والثناء عليه . (ج) تقديم الشهرستاني نفسه .

(٢) زمن تأليف الكتاب : (ا) تحديده بوزارة نصير الدين . (ب) تحديده من نفس الكتاب . (ج) تقريرنا .

(٣) إجمال محتوياته : (ا) مشتملات الكتاب جملة . (ب) مقدمات الكتاب الخمس : الأولى . الثانية . الثالثة الرابعة . الخامسة (ج) تمهيد عام للقسم الأول . (د) المسلمون . (ه) أهل الكتاب (و) من له شبهة كتاب . (ز) تمهيد عام للقسم الثاني . (ح) الصائبة (ط) الفلاسفة . (ي) . آراء العرب في الجاهلية . (يا) . آراء الهند . يب . الختام .

(٤) اهتمام المؤلف بالمقدمات والخواتيم . (ا) المقدمات (ب) والخواتيم أيضاً.

(٥) عنايته بالمصطلحات : (ا) مصطلحات القسم الأول . (ب) مصطلحات القسم الثاني .

(٦) أسلوبه : (ا) طعن كيورتن عليه . (ب) متابعة جيوم لكيورتن . (ج) تحقيقنا من نفس الكتاب (د) رأي هاربركر (ه) خلاصة تحقيقنا .

(٧) منهاجه : (ا) ضابط الاختلافات عنده . (ب) طريقته في ترتيب الفرق . (ج) شرطه على نفسه (طريقته في النقل) (د) تصريحه بالمخالفة : (أين خالف) (ﻫ) تأكيده أخيراً بأنه سار على منهاجه . (و) مناقشتنا لأبي الفتح في سيره على منهاجه . (ز) . طرقه على حسب تحقيقنا . (ح) سعة اطلاعه تفتق شرطه (ط) مقارناته تخرجه عن منهاجه . (ي) سيره على منهاجه .

(٨) مصادره وكيف استخدمها : (ا) ما هي مصادره (ب) مصادره المباشرة (ج) مصادره غير المباشرة (د) وثوقه بمصادره وتحقيقه لها . (ﻫ) فهمه لها وتفهمه إياها .

(٩) حكمنا له أو عليه : (ا) حكمنا عليه : (١) إغفاله بعض المقالات (٢) اعتماده على خبر الافتراق (٣) اضطرابه في عد كبار الفرق (٤) فرضه أن الفروع ثلاث وسبعون بجهد (٥) بعض الألفاظ النابية في الكتاب (٦) مجمل هناته . (ب) حكمنا له : (١) موقفه من الشافعي والشافعية مذهبه في الفروع (٢) موقفه من الأشعري والأشعرية مذهبه في الأصول (٣) موقفه من النصارى (٤) موقفه من ابن سينا (الفلاسفة) (٥) استعانتنا بحكم المتخصصين (٦) خلاصة الحكم .

(١٠) تقدير ودعاء .

* * *

ثم : المصادر جملة : (ا) المصادر الناطقة (ب) المصادر المكتوبة . (ج) أهم الكتب.

وقد بسطنا الكلام على هذا كله في ٢٤٥ صفحة من القطع الكبير ضمها جميعاً مجلد واحد .

كتاب الملل والنحل : ولما كانت ترجمات الكتاب عن أصول عربية ، لم نرجع اليها الا للكشف والهداية ، ثم قسمنا أصول الكتاب المطبوعة والمخطوطة — التي استطعنا الوصول اليها — الى مجموعات بلغت اثنتا عشرة مجموعة كاملة ، ورمزنا لكل مجموعة برمز خاص يدل عليها ، فجاءت كما يلي :

١ ـ ص. مطبوعات مصر على هامش الفصل لابن حزم (اشارة الى طبع مصر)

٢ ـ ع : مطبوعات مصر مجردة (اشارة الى المطبعة العثمانية)

٣ ـ ل. مطبوعات : أوربا (اشارة الى لندن وليبزج)

٤ ـ س : مخطوطة بدار الكتب المصرية (اشارة الى زمن نسخها وهو القرن السابع الهجري)

٥ ـ ني : مخطوطة ثانية بدار الكتب أيضاً (اشارة الى منتصف القرن الثاني عشر الهجري) .

٦ ـ لث : مخطوطة ثالثة بدار الكتب كذلك (إشارة الى منتصف القرن الثالث عشر الهجري) .

٧ ـ سر : مخطوطة ملك محمود بك السبع المستشار بمصر (السّين إشارة الى إسمه والرّاء الى القرن العاشر الهجري) .

٨ ـ سث : مخطوطتان : إحداهما بمكتبة الأزهر ، والثانية للسبع بك (السين إشارة له والثاء للقرن الثالث عشر الهجري) .

٩ ـ سع : مخطوطة ثالثة ملكه كذلك (السين لاسمه والعين للقرن السابع)

١٠ ـ (ب) مخطوطة ملك مخرّج الكتاب محمد بن فتح الله بدران إشارة إلى إسمه بدران.

١١ ـ (ا) مخطوطة ثانية بمكتبة الأزهر إشارة الى أنها نقلت عن أقدم نص الكتاب .

١٢ ـ (هـ) مخطوطة ثالثة بمكتبة الأزهر أيضاً (إشارة الى المكتبة الأزهرية) .

ولقد وصل إلينا هذا الكتاب — في مختلف طبعاته ومخطوطاته وترجماته — مخلخل البناء مهلهل الرداء . ويعلم من بيده مفاتيح السر وما يخفى . كم واصلت الليل بالنهار ، والنهار بالليل ، باحثاً مفتشاً ، منقباً . . . حول نص أرجّح ، أو علم أضبط ، أو اصطلاح أتكنّه ، أو معنى أتفهّم ، أو كلمة أتعقب . وكم واجهت نصوص الكتاب جميعاً بعضها ببعض . جملة جملة ، وكلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً . مستلهماً المؤلف نفسه ، متسمّعاً جرسه وهمسه ، مثبتاً في المتن ما يدعو إليه أو يطمئن له ، ذاكراً في الحواشي كل القراآت المختلفة ، المخالفة لما اخترت مما يؤدي الى معنى آخر ، أو مما قد يُفهم معه فهم ثانٍ . أو مما قد يمكن أن يُقرأ قراءة أخرى . ليختار القارىء ما يشاء . . إن شاء معرضاً عن غير ذلك ، من اختلافات تُثقِل الكتاب ، وتَثْقُل على القارىء ، مارًّا بلغو النساخ والمتعالمين مرّ الكرام ، بعد أن أقف على هذا اللغو طويلاً ، وبعد أن أقلب فيه أوجه النظر ، وأدير عليه وجوه البحث ، فلا أجد

فيه غناء ، ولا أعرف له وجهاً ، فلم أذكر في الحواشي : ما لا معنى له لغةً أو اصطلاحاً ، وما لا يستقيم المعنى معه ، وما يقطع البحث التاريخي بخطئه ، مما ظن النساخ والمتعالمون أنهم يُصلحون به متن المؤلف ، كما أبعدت منها ما لا فائدة تُرجى منه . ومع كل هذا ، فقد بلغت المفارقات التي دونتها في حواشي الكتاب ٦٢٧٥ مفارقة ، وقد تصل المفارقة الواحدة الى ٢٤ سطراً .

وبهذا استطعنا أن نُخَرِّج هذا الكتاب ـ لا نسخة منه ـ للناس جميعاً : نعم نستطيع أن نقدمه ـ دون أن ندّخر وسعاً في التحقيق العلمي والأمانة العلمية ـ لخواص المتخصصين ، إذ نقدم لهم كل نسخة نسخة ـ عثرنا عليها ـ من نسخ الكتاب مخطوطة أو مطبوعة ، وما على الباحث إلاّ أن يعرف رمز النسخة التي يريد الاطلاع عليها ، ويتابع ذلك الرمز في الحواشي مع قراءة المتن ، فيحصل بذلك على النسخة التي يريد ، وحسبنا أن نشبع رغبة هؤلاء الباحثين المنقبين ، ونقدم إليهم عشرات النسخ في كتاب ، ونستطيع أن نقدم ذلك الكتاب نفسه — دون أن نفرض رأينا فرضاً — لجمهور المثقفين من القراء ، بعد أن بذلنا فيه طويل وقتنا لنحفظ عليهم وقتهم ، هؤلاء إنما نقدم لهم المتن نقيًّا خالصاً . . . وحسبنا أن نتعب ونتعب ونتعب ، لنريح هؤلاء وهؤلاء ،

* * *

وفوق هذا ، فإنا انفردنا بابتكار عناوين مفصلة للكتاب كله بلغت ٢٨٣٠ عنواناً ، نثرناها على الهامش الأيمن للكتاب ، وجمعناها في الفهرس الثاني من فهارسه .

كما أثبتنا على الهامش الأيسر أرقاماً تدل على عدد السطور لتكون همزة الوصل بين القارىء والفهارس والكتاب .

بعد أن بذلنا غاية الجهد حتى تفرّدنا بتقسيم الكتاب وتجزيئه وتبويبه وتفصيله ، بما يوافق روح المؤلف ، ويوفّق بينه وبين العصر الحديث ، وقد نثرنا كل هذا في كل الكتاب وجمعناه في الفهرس الأول من فهارسه .

وقد استغرق متن الكتاب مجلدين : مجلد خاص بأرباب الديانات والملل ، وآخر خاص بأهل الأهواء والنحل ، واشتمل هذان المجلدان على ٨٦٦ صفحة من القطع الكبير .

فهارس كتاب الملل والنحل : ولما كانت فائدة الفهارس أن تقود القارىء في سهولة ودقة ويسر وسرعة إلى حيث يريد من الكتاب ، وهي بهذا تعتبر روح الكتاب ومفتاحه كان هدفنا الأول والأخير أن تكون فهارسنا هذي هي القائد الحكيم للقارىء الكريم ، مهما كلفنا ذلك من جهد ومشقة ، فجاءت بحمد الله وفق ما نرجو . وهل يستطيع باحث الآن أن ينتفع انتفاعاً كاملاً ودقيقاً بكتابٍ مّا إلاّ إذا قادته إلى حيث يريد منه فهارسه خصوصاً إذا كان الكتاب مترامي الأطراف متسع الآفاق ككتاب الملل والنحل ، لهذا وقفت عنايتي حيناً من الدهر لابتكار هاتيك الفهارس المتنوعة لذلك الكتاب ، وكلي أمل أن يستفيد منها الباحث فتفيده ، وأن تجذب القارىء إلى الكتاب فينجذب إليه .

* * *

ولقد ابتدأت بالفهرس الاجمالي لمحتويات الكتاب وانتزعته من التقسيم الذي تفردت به ، وعانيت فيه ما عانيت ... حتى جاء الكتاب في قسمين في سبعة أجزاء في خمسة وعشرين باباً في ١٣٣ فصلاً ،

القسم الأول يشمل ثلاثة أجزاء : المسلمون — أهل الكتاب — من له شبه كتاب ، وهم أرباب الديانات والملل .

والقسم الثاني يشمل أربعة أجزاء : الصابئة ـ الفلاسفة ـ العرب ـ الهند ، وهم أهل الأهواء والنحل .

وثنيت بالفهرس التفصيلي لمحتويات الكتاب ، وانتزعته من العناوين الجانبية التي ابتكرتها ، ونشرتها على الهامش الأيمن للكتاب والتي بلغت ٢٨٣٠ عنواناً .

وثلثت بفهرس الترجمة الألمانية لهاربركر — وقد ناقشته في كتابنا المدخل — وجعلته كملحق للفهرس الأول المنتزع من تقسيمنا للكتاب ، للمقارنة بينهما من ناحية ، ولاستكمال المنهج العلمي من ناحية أخرى .

وربّعت بفهرس المخطوطة « س » كملحق للفهرس الثاني ابتكارنا ، للمقارنة بينهما من ناحية ، ولاستكمال المنهج العلمي من ناحية ثانية ، وللمحافظة على الأمانة العلمية من ناحية ثالثة

ثم خمّست بفهرس البلاد والأماكن التي انتزعتها من نجاد الكتاب ووهاده ، بعد أن

رتبتها ترتيباً هجائياً على حسب النطق بها وكتابتها ، مثبتاً أمام البلد أو المكان رقم الصفحة فالسطر الوارد فيه .

ثم صدّرت بفهرس الفرق والقبائل المنثورة في مطاوي الكتاب وثنياته ، ذاكراً أمام كل فرقة أو قبيلة أرقام الصفحات التي خصصت لها بعد علامة = من . . . إلى . . . ثم مثبتاً رقم الصفحة فالسطر الواردة فيهما الفرقة أو القبيلة في غيرها خصص ما .. وقد رتبتها على حروف الهجاء .

* * *

وأخيراً — وليس آخراً ان شاء الله — ختمت هاتيك الفهارس — الآن — بفهرس الأعلام للأفراد ، مرتباً كسابقيه على حسب النطق والكتابة وأحرف الهجاء ، ذاكراً الصفحة فالسطر الوارد فيهما ذلك العلم أولاً ثم مثبتاً أمام ذلك ما انفرد به هذا العلم من رأي أو ما سيق هذا العلم من أجله إن كان في ذلك غناء أو نفع علمي . وقد شملت هذه الفهارس جميعاً ١٨٤ صفحة من القطع الكبير .

وبعد : فانه لمن حسن حظ هذا النوع الجديد من البحث — الذي نهيب بالمخلصين والمتصوفين من العلماء والباحثين وبخاصة طالبي الإجازات العلمية أن يسلكوا سبيله — أن يخرج من الأزهر ، وفي الأزهر ، وللأزهر ، ليشعّه على العالم كله ، وقد استوى على الأزهر الآني عالم عالميّ ، نرجو أن يدفع بسرعةٍ وقوةٍ الأزهر ورجاله وأبناءه بكلتا يديه — كما يقول — ذلكم هو فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق قواه الله وأعانه .

* * *

والله نسأل : أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ، وأن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يوفقنا لخدمة العلم والدين

محمد بن فتح الله بدران

الرياضيات

في العلوم الطبيعية

الكون عالم طبيعي (فوزيقي) فلماذا نرى عنصر الرياضة قد أصبح حقيقة لاغنى عنها في علم الطبيعة ؟

هذا سؤال ألقاه السير جيمز جينز ، ولكنه أجاب على سؤاله بقوله : « لأن خالق الكون رياضي بحت » . لكن السير ارثر ادنجتن أراد أن يخفف من وطأة الجواب فقال : « إننا نحن الذين وضعنا عنصر الرياضة في الطبيعة » . ولست أدري هل جرّد الخالق من صفة الرياضة ، أم جرد الكون من تكوينه الهندسي ، عند هذا قامت الأستاذة سوزانا ستبنغ (١) وهاجمت العالمين بشدة وأنكرت قولهما وأرادت أن يكون الجواب على هذا السؤال ما يلي : « لقد خلق الله الكون في صورة رياضية » .

وعلى كل حال فقد اتفق العالم والفيلسوف على أن الرياضيات أساس في طبيعة الكون وخلقه ، وإنه يتعذر علينا تحليل ظواهر الطبيعة وتفسيرها دون الالتجاء الى الرياضيات .

ولقد اتفق العالم والفيلسوف — كما قلت — في فهم هذا الكون وتركيبه ولكنهما اختلفا في صيغة التعريف ، فالعالم يعتمد على التجربة وعلى الحساب الدقيق عند القياسات أثناء التجربة ، فعنده ، أن الظواهر الطبيعية لا تفسر إلاّ بالتجربة والقياس . أما الفيلسوف فيعتمد على العقل المجرد فيعلل ظواهر الطبيعة على أساس المنطق ، وكثيراً ما يخطىء المنطق في هذه التعليلات ، ولعله يخطىء دائماً في هذه الناحية لأن القوانين المنطقية لا تساعدنا في فهم العالم التجريبي ، فجميع معارفنا عن الحقيقة تأتينا عن طريق التجربة ، فالمنطق لا سبيل له في تعليل الظواهر الطبيعية دون التجربة . وفي هذا الصدد يقول إنشتين « إن أقوال المنطقيين البحت كلها فارغة بالنسبة للحقيقة » .

ولما كانت التجربة تعتمد على القياس إذن فعنصر الرياضة حقيقة لازمة في تفهم أسرار الكون وتعليل ظواهره . لنأخذ مثلاً بسيطاً : نلاحظ عند مرور تيار كهربي في أنبوب يحتوي على غاز مخفف منظراً جميلاً . فالظاهرة تبين ما يحدث عند مرور التيار الكهربي في

---

(١) أستاذة المنطق في جامعة لندن ، توفيت عام ١٩٤٣ .

الأنبوب وتنقطع بقطعه، هذه ظاهرة فزيقية. أما التجربة فتعلمنا مقدار كثافة الغاز ونوعه وان اللون المرئي هو خاص لذلك النوع من الغاز، وتعلمنا أيضاً مقدار قوة التيار وجريانه . . . الخ. هذه الايضاحات تكفينا من التجربة. ولعلّ هذا كل ما يقال في تعليل هذه الظاهرة قبل خمسين سنة. ولكننا اليوم لا نكتفي بهذه الايضاحات بل نسأل عن أسباب أخرى فندخل حدود العلم النظري فنتطرق الى التركيب الذري والشحنات الكهربية التي تحملها الجسيمات عند خروجها في السلك الكهربائي، وتصادمها مع ذرات الغاز، وتفاعلها معها تفاعلاً آلياً، عندئذٍ نصل بعد جهد الى تعليل الظاهرة وهكذا فالتجربة التي كانت قبلاً بسيطة قد أصبحت معقدة تجبرنا على أن نتطرق حقولاً جديدة في العلوم نحتاج في تفسيرها الى معرفة العلوم الذرية والرياضيات العالية.

على هذه الطريقة تقدم العلم الفوزيقي وبواسطة الرياضيات حقق سيادته على غيره من العلوم فنشأ من تقدم الرياضة وملازمتها له نوعان من العلوم الفوزيقية، العلم التجريبي الذي يعتمد على التجربة والحسابات، والعلم النظري الذي يعتمد على الحلول الرياضية في الوصول الى النتائج الفوزيقية بغير التجربة اليدوية. فنيوتن الذي يعد أبو الفوزيقا النظرية كان يعتقد أنه من الممكن استخلاص جميع الأسس والقوانين التي وضعها عن طريق التجربة وهذا ما كان يعني بقوله المأثور hypotheses non fingo

علمنا أن التجربة تحتاج الى القياسات أو قل هي القياسات بعينها، إذن يطابق هذا القول تعريف هايزنبرغ للعلوم الفوزيقية حيث يقول « الفوزيقا هي علم القياسات ».

وعند ما كان يعتقد نيوتن إنه من الممكن الحصول على جميع أسس وقوانين الطبيعة عن طريق التجربة، هكذا كان يعتقد مكسول عند ما أراد أن يحصل على جميع نتائج (فراداي) في علمي المغنطيس والكهرباء عن طريق الحلول الرياضية وهكذا كان، فقد نجح في الوصول الى تلك النتائج بواسطة الرياضيات وقد زاد عليها قوانينه المشهورة وبحوثه التي من جرائها سهلت اكتشافات عديدة كاللاسلكي والراديو والردار وغيرها.

برز في حقول الرياضيات الطبيعية علماء أفذاذ قدموا العلم خطىً واسعة ورقوا به الى أسمى الدرجات فأصبح سلم السعادة، وآلة الفتك والدمار. كان لبلانك ودي برولي وهايزنبرغ وشرودنجر وديراك وبور وغيرهم أثر بعيد في تقدم علم الطبيعيات الحديثة أخصها الفوزيقا الذرية. وكان لفتزجرالد ولورنتز ومنكوفسكي وانشتين في تقدم النسبية.

فالفئة الأولى كان جل إهتمامها بالناحية الرياضية في الحقول الذرية فتقدم هذا الفرع شوطاً بعيداً ووصلوا الى الشاطىء المجهول قبل أن يصل اليه علماء التجربة. فبهم تقدم علم

الميكانيكا المقدارية quantum mechanics وعندما توصل علماء التجربة الى وجود دقائق جديدة في عالم الذرّة كالنيوترون والميزون والبوزترون التي مهدت الطريق الى استخراج الطاقة الذرية الكامنة، تقدم هؤلاء النظريون بواسطة علومهم الرياضية في علوم الميكانيكا الجبرية Matrix Mechanics وتبعتها الميكانيكا الموجية Wave Mechancis. فلهذه الأخيرة كانت اليد الطولى في تعيين خصائص الذرة وتركيبها وتفاعلها والتي مهدت السبيل الى اكتشاف القنبلة الذرية، تلك القنبلة التي أهلكت ودمرت وفرضت السلام على العالم فرضاً (١)

فالخطى التي أحرزها العلم الفوزيقي بواسطة الرياضيات يعد من عجائب هذا العصر فقوانين نيوتن في الميكانيكا لم تعد تصح على دقائق الضوء فاقتصر فعلها على الكتل الكبيرة والقذائف المرئية. وأما الفئة الثانية فقد جاءتنا بأبحاث في تنظيم الكون وتفسير مسالك الأجرام والظواهر الكونية. فبحثوا في الزمان والمكان وصحتهما المطلقة، وارتقوا بنا الى أعالي الأجواء لنعرف مدى الكون، أهو امتداد لا نهائى، أم هو كون مكور محدود، فقدموا لنا تقريراً وافياً عن هندسة الكون وشكله أرجعتنا إلى بداية هذا الحديث، وأعلمتنا أن خالق الكون رياضي مبدع، أو قل إنّ هذا الكون قد خلق على نظام هندسي مدهش. فكانت النسبية الخاصة تقول: ان القوانين الطبيعية العامة ليست متباينة بالنسبة لمعادلات لورنتز.

وكانت النسبة العامة تقول: ان تساوي جميع نظم الاحداثيات الجوسية (٢) أساس في تكوين القوانين الطبيعية العامة (٣). بهذه اللغة نفسر الكون، هذه اللغة الرياضية التي جعلت الإنسان يؤمن بالعقل ومبتكراته، وحيث يقف أمام هيكل هذه الآلة قائلاً:

أيتها الرياضيات يامن لك الفضل الأكبر في تنمية العلوم وتوسيع مدارك الإنسان لك تدين المكتشفات، وبك عرف الشاطيء المجهول، أنتِ القابضة على أحداث الموسيقى واهتزازاتها، بكِ تقدمت الفوزيقا وإليكِ ترجع الكيمياء، بقدرتكِ حمل الإنسان الكون على كفه، يقلبه ليستقصي مسالكه ويعرف مادته.

لا مجال للاستغراب في هذا الحديث، فالرياضة إحدى الطرق التي بها ننظر الى الأشياء والذي لا يعرفها فهو خاسر، وخسرانه كبير في فهم العلوم وأسرار الكون، ولو أنه لا يشعر بهذه الخسارة ممثلة كمثل المصاب بعمى اللون الذي لا يقوى على رؤيته (٤)

فؤاد جميعان

---

(١) مجلة اندفر سبتمبر سنة ١٩٤٦ (٢) نسبة الى الرياضي الشهير جاوس Gauss (٣) تلخيص انشتين.

Mc Kay, The World of Number (٤)

الاثر الدنيوي

في الفن القبطي

من الامور المتفق عليها حتى العصر الحاضر بين علماء الآثار والمؤرخين أن الفن القبطي إنما هو فن ديني مسيحي محض يعبر عن فن الاديرة والكنائس، مؤثراته دينية كما أن أغراضه دينية أيضاً ، بمعنى أنه لم يتأثر بمؤثرات دنيوية وإنه لم يرم الى أغراض دنيوية (مدنية).

ويبدأ هذا الفن القبطي أو الفن البيزنطي في نظر هؤلاء العلماء منذ سنة ٣٩٥ ميلادية وقت أن أصبحت الديانة المسيحية ديناً رسميًّا لمصر ، ويستمر حتى سنة ٦٤٠ ميلادية ، وهو وقت دخول العرب مصر .

ولكن إذا رجعنا إلى أصل كلمة قبطي وجدنا أنها في معناها ترادف كلمة مصري سواء بسواء ، بمعنى أن جميع سكان وادي النيل كان يطلق عليهم قبل غزو الاسكندر الأكبر لمصر بمدة طويلة اللفظ اليوناني « ايجبتيوس » الذي حُرِّف بعد ذلك الى لفظ قبطي .

وهذا يقطع بأن كلمة قبطي لا علاقة لها إطلاقاً بالنزعة الدينية ، بل كان لفظها يستعمل قبل دخول المسيحية مصر وفي عهد المسيحية وبعدها .

نخرج من هذا بنتيجة هامة وهي أن الفن القبطي كان فنًّا مصريًّا قبل أن يكون فنًّا دينيًّا كما هو الرأي الشائع حتى الآن .

ومجرد إعادة النظر في الآثار القبطية الموجودة بالمتحف القبطي، وفي باقي المتاحف المصرية، وكذلك في مختلف متاحف أوروبا وأمريكا ، وفي الأسباب التي استند عليها العلماء في رأيهم السابق ، وفي ما قام به العلماء من حفريات — يدلنا على إنهم مخطئون فيما يذهبون إليه ، فقد خضع الفن القبطي كغيره من سائر الفنون لمؤثرات البيئة التي نشأ فيها وهذه المؤثرات منها ما هو ديني ومنها ما هو دنيوي، وهو ترجمان صادق للحياة المصرية في تلك الفترة من الزمن وما قبلها وما بعدها .

فمثلاً وجد في كثير من المقابر والمباني المدنية آثار بغيضة الى الدين المسيحي والمتدينين به ، فالمتحف القبطي زاخر بصور العراة وبأدوات الزينة من مكاحل وأمشاط وحلى السيدات ، من ذلك الخلاخيل والأساور المحلاة برأس الثعبان (وهي العادة الفرعونية القديمة والمنتشرة حتى الآن) وما الى الخلاخيل من العقود والخواتم التي على شكل زهرة اللوتس أو المحلاة بعلامة إيب الفرعونية (أي القلب) والحلقان الذهبية التي على شكل عنقود العنب ، والثياب المدنية المزركشة والمزخرفة بزخرفة فرعونية كالجعل المجنح أو علامة عنخ الفرعونية (أي الحياة) وهي بلا شك من آثار الحضارة المصرية الفرعونية .

كذلك ترك لنا الفن القبطي آثاراً منزلية كثيرة عليها بعض مناظر لأشخاص عراة أو لراقصين أو راقصات ، كما أن بعضها يشبه ما وجد في مقابر الفراعنة كالأواني الفخارية ، أو بعض الأواني المعدنية ، كالإناء الذي يشابه العلامة الفرعونية (حسى) أي ممدوح ، أو الملعقة الصدفية التي لها يد من حديد وتنتهي بشوكة وتشبه في شكلها تلك التي وجدت أخيراً في حفائر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم بجهة حلوان وهي مصنوعة من العاج ويرجع تاريخها إلى أوائل عصر وحدة مصر الأولى تحت عرش ملك واحد .

كما أن البعض الآخر من الآثار القبطية عليه مناظر نيل مصر ، من طيور ، وأسماك أو نبات البردي ، أو التمساح أو المراكب والنيل بلا شك قوام حياة مصر في كل عصورها ، ولا علاقة لكل هذا بالدين المسيحي لا من قريب أو بعيد .

كما أن هناك آثاراً عديدة من العصر القبطي لمصريين لم تكن المسيحية ديانتهم . وقد استوحى هذا الفريق من المصريين الذين لم يكونوا قد اعتنقوا المسيحية بعد في فنهم مؤثرات غير مسيحية ، وهذا يدل على ان الفن القبطي كان فنًا مشتركاً بين المسيحيين وغير المسيحيين من المصريين .

زد على ذلك أن على كثير من المباني رسوماً حيوانية كصيد الأسد أو الغزال أو الطيور أو مناظر لبعض نباتات مصر كالنخيل واللوتس والبردي والرمان . وان أصل الكثير من هذه الرسوم يرجع إلى مصر الفرعونية ، ويبين استمرار وحدة الفن المصري في عصوره المختلفة .

وفوق هذا عثر المنقبون على آثار قبطية هي عبارة عن أدوات زراعية كالفأس والشرشرة — ومصر بلاد زراعية — أو أدوات طبية ، كالمرود والسكين والمقبض ، أو أدوات الكيل ، والوزن، أو أدوات الكتابة ، أو أدوات الطهي ، أو أدوات النسيج، والكثير منها يرجع في أصله إلى مصر الفرعونية .

ولا داعي للقول بأن كل هذه الاشياء لا تمت الى الدين المسيحي بأي صلة مما يؤيد الرأي الذي نقول به ، وهو أن الفن القبطي تأثر بمؤثرات دنيوية (مدنية) فوق تأثره بالمؤثرات الدينية المعروفة ، فالفن في كل عصر وفي كل بلد إنما هو ترجمان للحياة في شتى نواحيها .

ويرجع كثير من الرسوم الجصية التي كانت تزين بها بعض المباني القبطية في أصلها الى نقوش فرعونية ، أو زينة فرعونية، بل انها كانت تصنع بنفس الطريقة الفرعونية . وكذلك كان التصوير بالألوان على لوحات المومياء يرجع الى تطور العادات المصرية الفرعونية .

وهناك كثير من الرسوم التي وجدها العلماء مرسومة على قطع من القماش تعبر في مرماها عن أشياء لا تمت للدين بصلة ما رغم أنها رسمت بعد أن أصبحت المسيحية. ديناً رسمياً للدولة الامبراطورية الرومانية التي كانت مصر في القرن الرابع الميلادي إحدى أجزائها .

ومما يقطع بصحة رأينا تلك الرسوم الكثيرة التي وجدها العلماء على جدران بعض الكنائس والأديرة التي لا علاقة لها بالدين اطلاقاً، وإنما هي ترمز إلى صور من الحياة المادية، فمثلاً : ما علاقة عصفور يأكل عنباً (صورة رقم ٦) أو صور أشجار وفواكه وأزهار أو صور هندسية بالدين ؟

بل من الطريف أن القبطي لم تفته روح الدعابة والمرح التي ورثها عن أجداده قدماء المصريين، إذ ضمن رسومه حكماً وأمثالاً كانت متداولة في مصر الفرعونية ولا زال بعضها مضرب الأمثال حتى وقتنا الحاضر . مثال ذلك لعبة القط والفار المرسومة على جدران أحد مباني باويط

واذا ذهبنا مع هؤلاء العلماء مذهباً بعيداً لوجب القول بأن الفن القبطي (الفن البيزنطي

في نظرهم) وجد معاصراً للعصر المسيحي بمعنى انه لم يوجد قبل هذا العصر ما يسمى فنًّا قبطيًّا .

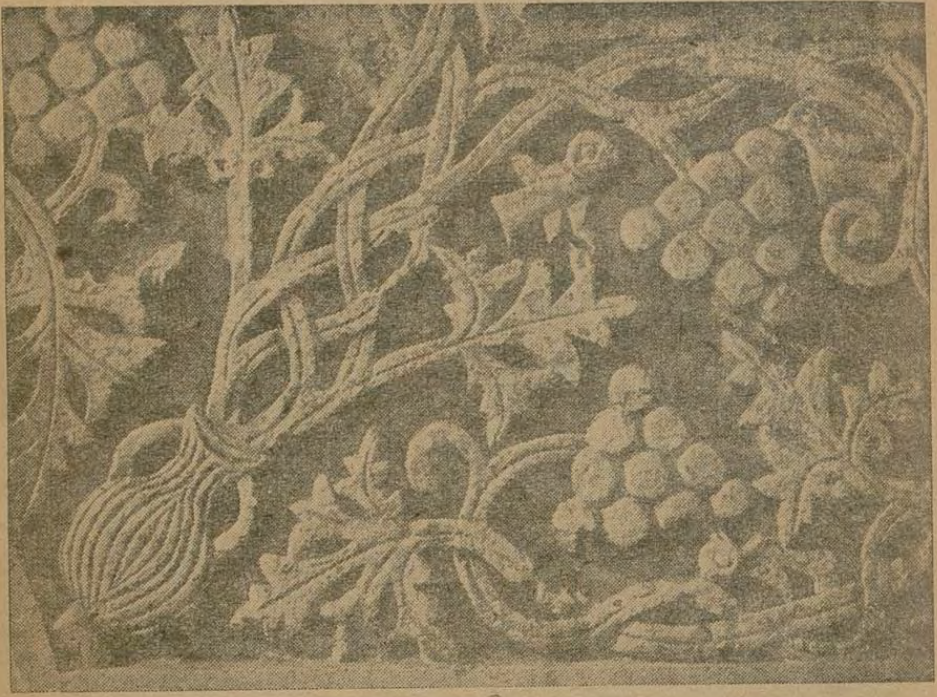

صورة رقم ٦ (تصوير المتحف القبطي)

ولكن اذا عرفنا أن الفنون التي نمت وازدهرت في أنحاء مصر أثناء الحكم اليوناني الروماني ، أثرت في الفن اليوناني الروماني نفسه ، وقد قلد اليونان والرومان في عمائرهم الكثير من أساليب العمارة الفرعونية وزخرفتها ، وجب أن نخرج بنتيجة وهي أن الفن القبطي وجد قبل ظهور المسيحية بزمن طويل نستطيع تحديده نوعاً بدخول الاسكندر الأكبر مصر حوالي سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، حتى لا نخلط بين الفن القبطي المصري ، والفن القبطي الفرعوني كما يجب أن نسميهما .

فقد ثبت انه كان للمصريين في العصر السابق للمسيحية فن مجيد ونهضة فنية رائعة رنَّ صداها في كافة الارجاء ، وتأثرت بها سائر البلدان المجاورة .

ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نوافق على رأي العلماء من أن الفن الذي ظهر في مصر في هذا العصر كان فنًّا يونانيًّا رومانيًّا فحسب ، أو نوافق على رأي الفريق الآخر

من أن الفن الهيلينستي وهو المزيج من اليوناني المتأخر ، وفن بعض الشعوب الشرقية كفارس وسوريا وبابل هو الذي ساد في هذا العصر في مصر

والآن وقد سقنا هذه الأمثلة العديدة والأدلة التي بيناها نستطيع أن نؤكد بأن الفن القبطي ليس كما يقول العلماء فنًّا دينيًّا مسيحيًّا محضاً ، وانما هو فنٌّ مصريٌّ له مؤثراته وأغراضه الدنيوية ، كما أن له أغراضاً ومؤثرات دينية .

صيد الأسد (تصوير المتحف القبطي)

ومما يعزز قولنا هو تفرع اللغة القبطية الى لهجات منها : اللهجة البحيرية ، والصعيدية ، والأخميمية، والفيومية ، التي تدل دلالة واضحة على التطور الاقليمي للغة المصرية القديمة .

ولم تؤثر اللغة اليونانيـة على القبطية الا من حيث بعض حروف الهجـاء وبعض المفردات الدخيلة .

دكتور باهور لبيب
الامين بالمتحف القبطي

الاستحمام

وفوائده الصحية والطبية

يراد بالاستحمام تعريض كل الجسد للماء والرياضة العضلية وليس دخول الحمام للإغتسال بالماء الحار فقط بقصد النظافة ، والغرض منهُ كما لا يخفى إزالة الافرازات الجلدية كالعرق والمواد الدهنيـة التي تمتزج بالغبار وتلتصق بالجلد . فاذا لم تُزَل تلك الافرازات رسخت حينئذٍ بالجلد وكوَّنت قشوراً تمنع تنفس الجلد وإفراز العرق ، وهـذا ما يؤدي الى أمراض خطيرة. وقد يموت الانسان إذا حُجز عنه التنفس الجلدي مثلما يموت إذا حُجز عنه الهواء .

فلا بدّ للانسان إذاً من غسل جسمه دائماً مهما كان سنه ومنزلتهُ ، غنيّـاً كان أم فقيراً ، سليماً أم عليلاً ، طفلاً أم شيخاً . كيف لا وهو واسطة النظافة والصحة الجيدة ، وعامل حيوي لدرء كثير من العلل والأمراض التي تأتي عن طريق الجلد بما يلصق على سطحه كما قلنا من الأوساخ والأدران والأملاح والقشور التي يفرزها العرق والغدد الدهنية . وبالرغم من وجود المنشآت الكثيرة المخصصة للاستحمام في أيامنا هذه لا نزال بعيدين جدّاً عن اهتمام الشعوب القديمة من حيث النظافة ومضاهاتنا لها من هذه الناحية .

فالحمامات عند اليونان والرومان كما يؤكد بعض المؤرخين كانت لا تماثل حسناً وكبراً ، وقد بلغت درجة من الأهمية بحيث أفسحوا للناس مجالاً واسعاً لارتيادها سواء أكانوا من العامة أم الخاصة . فكانوا يقدّرون إذ ذاك قوة الجسم وجماله ورشاقته ويعملون على المحافظة عليـه ، ولا تزال ماثلة الى اليوم في أوروبا بقايا تلك الأماكن الجميـلة المخصصة للاستحمام . ففي روما مثلاً كان يوجد لدى جميع الأشراف والأغنياء ، حتى الطبقة المتوسطة من الشعب ، حمّامات خاصة في بيوتهم — هذا عدا الحمامات العمومية لطبقات الشعب . أما في أيامنا هذه فلا نرى ما يذكرنا بتلك التماثيل الكبيرة الرائعـة التي لا تزال آثارها باقية في أراضي المملكة القديمة كتماثيل الحمامات العامة لاوغسطس ، ونيرون ، وكراكلا في رومة ، وتماثيل قيصر في باريس . وقد كان الاستحمام للأهلين مجاناً تقريباً أي بسنتيمين فقط ، ولا يخفى

ما لوجود مثل هذه المنشئات وأماكن الاستحمام من المنافع الجزيلة للصحة العامة .

ويمكن القول أن النظافة لم تبتدىء بالتقدم جدياً بعد ذلك إلاّ في أيام الصليبيين خصوصاً عند الطبقة الميسورة ، وقد امتدّ ذوق استعمال الحمامات من الشرق الى فرنسا . ويكفي أن تطوف الآن شوارع باريس القديمة وتشاهد معالمها ورسومها وتقرأ أسماء شوارعها كي تتأكد من وجود أماكن عديدة عامة للاستحمام في ذلك الزمن .

وقد كتب أحد المؤرخين الغربيين فصلاً ممتعاً عن عادات أهل البلاد وأخلاقهم في ذلك الزمن أي من القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر جاء فيه ما يلي : — «لكي يكون الاستقبال حارًّا ويبدو وديًّا فخماً إذا دُعي أحدهم إلى تناول الطعام عند أسرة ما ، فعلى أصحاب الدعوة أن يهيئوا للمدعو أولاً حماماً حارًّا فور وصوله الى بيت هذه الأسرة ، وبعد الانتهاء من الحمام يأتي الضيف توًّا الى غرفة الأكل لتناول الطعام » .

ولعمري ليست النظافة وحدها ما يكسبه الجسم بالاستحمام، بل هنالك أيضاً إنعاش الجسد وتسكين أعصاب الجلد ، والبهجة والنشاط والرشاقة وخفة الحركة والصحة وبالتالي طول الحياة . وإذا أمعنا الفكر قليلاً ألفينا أيضاً أنّ النظافة هي أساس الوقاية من الأمراض المعدية ، ولنأخذ مثلاً على ذلك الحمّى التيفية التي تنتقل من المريض الى السليم بوساطة المواد البرازية . فاذا روعيت النظافة في هذه الحالة أمكننا التخلص من هذا المرض بدون أن نتعرض للتلوث به ونبقى سالمين منهُ . وهكذا قل عن الزحار والهيضة (الكوليرا) وغيرها .

زد على ذلك أنّ النظافة هي أساس الجمال . فالزينة والتبرج مهما بلغا حد الكمال والاتقان يبعثان في النفس النفور والاشمئزاز أكثر من الإعجاب والاطراء — إذا لم يكونا مقرونين أولاً بالنظافة ومراعاة الطهارة الجسدية ، ومهما تكن المرأة جميلة مليحة فإن قذارة ملابسها أو اتساخ جسمها يسلبها الملاحة والفتنة والجاذبية التي تنشدها . وهذا كله لا يتم إلاّ بالاستحمام .

وفي أيامنا هذه نرى أن أفخم الحمامات هي عند الاميركيين ويشبهون من هذه الناحية اليونان القدماء . أما اليابانيون الذين يُعدُّون أنظف أمم الارض كما يؤكد الكثير من الباحثين ، وأعظمهم إقبالاً على الاستحمام ، فانهم يستعملون المرشّ (دوش) وليس الاحواض

(بانيو) كما يفعل الغربيون ، وهم يسخرون من هؤلاء لأنهم يستحمون في ماء قد تلوّث بأقذار الجسم وذاب به الصابون ، فالنظافة لا تُعدّ تامة في هذه الحالة ما لم يُنظف الجسم بعدئذٍ بالماء الساخن النظيف أو بالمرشّ .

ومما يذكر في هذا الصدد أن النرويجيين قد اتخذوا عادة الاستحمام في العراء في فصل الشتاء ، وغالباً ما يستعملون الجليد بدل الماء فيحك المستحم جسمه بقطع منه . صحيح أن هذا ينشط الدورة الدموية ويفيد الجلد فائدة كبرى ، غير أن هذه الطريقة لا تأتي بالفائدة المبتغاة من جهة تنظيف الجسم وإزالة ما يكون قد علق بهِ من الأدران والأوساخ والأملاح وغيرها .

(فائدة الاستحمام للجسم) : وتأثير الحمّام على جسمنا له فوائد من نواحٍ ثلاث : طبيعية ، وأدبية ، وعقلية .

١ — الحمّام الساخن : (٣٤ — ٣٨ درجة مئوية) : يفتح مسام الجلد فيجري منها العرق حاملاً معه السموم الكثيرة والأقذار المتروكة ، كما أنه يرفع حرارة الجسم ويزيد النبض بحيث يبلغ ١٢٠ الى ١٣٠ درجة في الدقيقة الواحدة ، ويستدعي الدم في الوقت نفسه الى نواحي الجسم السطحية فينعشها ويريح من عبئه الأعضاء الداخلية ، وعلى الخصوص المعدة والكليتين . وهذه الراحة التي تنالها الأعضاء الداخلية ضرورة لتجديد حياتها وتقويتها على متابعة أعمالها .

طبيًّا يمكننا استعمال الحمامات الساخنة في حالات الرثية ، وفي أمراض المسالك التنفسية الحادّة . ولا سيما عند الأولاد في الالتهاب الشعبي الرئوي (٣٨ درجة مئوية) ، فيُترك الولد في الماء مدة عشر الى عشرين دقيقة ، وتوضع كمّادات ماء بارد على رأسه طيلة مدة الاستحمام منعاً لاحتقان الدماغ ، وذات الحمامات الساخنة تستعمل أيضاً في حالات التهاب الكلى الحادة وفي تهدئة الأعصاب أيضاً .

غير أنه يجب الاحتراس بعد أخذ الحمام الساخن من التعرض لأضرار البرد والمجاري الهوائية لأن الجلد المتمدد الحار يصاب أحياناً بالنسمات الباردة فتعتري الإنسان القشعريرة وهي تمهد السبيل الى بعض الأمراض بل قد تفضي أحياناً إلى الموت اذا لم يحسب لها حساباً .

ولاجتناب هـذا الأذى يقتضي بعد الانتهاء من الاستحمام ، التمدُّد في فراش مدة نصف ساعة تحت غطاء خفيف في غرفة محفوظة من مجاري الهواء ، وأنسب وقت لذلك هو في المساء قبل النوم . وينبغي على كل حال عدم الاستحمام بتاتاً قبل مرور ساعتين على تناول آخر وجبة من الطعام . ويجب علي الذين بلغوا السن ٤٥ فما فوق اجتناب أخذ الحمامات الساخنة جدًّا (٣٨ — ٤١ درجة مئوية) لأنهم غالباً ما يكونون مشتبهين بأمراض غير ظاهرة ولا يُشعر بها من ناحية القلب والأوعية الدموية .

٢ — الحمام الفاتر : (٢٨ الى ٣٤ درجة مئوية) : هو من أفضل أنواع الحمامات ، لا سيما في الصباح ، لأنه ينظف جيداً ، وينعش ويحمي من البرد ومن التهـاب الشعب وذات الرئة التي تفتك بالـكثيرين سنويًّا . وهو يفيد على الخصوص ذوي الأمزجة العصبية والأشغال العقلية والمصابين بأمراض القلب ، والمسلولين ، ونحاف الأجسام ، والناقهين من الأمراض وخصوصاً في الصيف حيث يلطف حرارة البدن ويزيل التعب والـكسل الناجمين من الحر . كما أنه يفيد أيضاً في حالات الأرق العصبي والنوراستنيا (ضعف الأعصاب) والهستريا ، وفي الأوجاع الداخلية لالتهـاب الأعصاب المتعدد المنتشر (Polynévrite) ، والسُّهام Tabes . زد إلى ذلك أنَّ استعمال الحمامات الفاترة أو الساخنة تساعد على تفريغ المثانة وتسهل ادخال القثطرة في الاحليل Cathétérisme في حالة تضييق القناة البولية ، هذا فضلاً عن فائدتها أيضاً في بعض الأمراض الجلدية كالحكاك وغيره .

وبوجه عام يكون الحمام الفاتر مفيداً لمَّا تكون قوى الجسد منحطة أو عندما يكون الشخص امرأة نحيفة أو ولداً ضعيف البنية أو حينما يكون الطقس بارداً جدًّا .

٣ — الحمام البـارد (١٠ الى ٢٨ درجة مئوية) : تختلف درجة برودة المـاء الذي يستحم به الانسان كما ترى بحسب حرارة الفصل أو برودته . وأما تأثيره الاول في الجسد فانه يعكس الدم والقوة الحيوية من الظاهر الى الباطن . ثم يردها الى الجلد والمجموع العضلي . وهـذا ما يسمى بردّ العمل . وباندفاع الدم من الظاهر الى الباطن يتهيج القلب ويشتد عمله وتقوى انقباضاته فيندفع الدم منه بسرعة الى جميع أعضاء الجسم فتزداد تغذيتها من توارد الدم اليها ويزول منها الاحتقان المزمن وتغدو أحسن حالاً للقيام بعملها . غير انه يجب

الانتباه جيداً عند استعمال الحمام البارد الى بعض النقاط : أولاً — ان الغطس الفجائي هو أفضل الطرق لأقوياء البنيـة خلافاً للضعفاء الذين يجب عليهم أولاً أن يمسحوا أجسادهم بنشفة أو أسفنجة مبلولة ثم يغطسون في الماء . ثانياً — لا يجوز أن يقف الانسان في الماء وجسمه غير مغمور به لئلاّ يتسبب عن ذلك احتقان القلب والأعضاء الداخليـة ولا يحصل من ذلك حينئذٍ رد فعل تام . ثالثاً — لما كانت المرشة المعروفة بالدوش لا يحتملها إلاّ بعض الناس، وبخاصة الضعفاء والنساء والأولاد ، فيُستحسن إذ ذاك سكب الماء سكباً على جسدهم. أما أقوياء البنية فالمرشة تكون بالعكس مفيدة جـداً لهم ولا يخشى عليهم من صدمة الماء الشديدة الباردة . رابعاً — من الناس مَن يتعوّد الاستحمام بالماء البارد صيفاً شتاءً ، فهذا لا ضرر منه البتة للشبان وأشداء البنية . أما الضعفاء فعليهم أن ينقطعوا عنه في فصل الشتاء وأيام البرد الشديد ، ويستعيضوا عنـه بالغسل البسيط أو بمسح الجسم بأسفنجة مبتلة بالماء خوفاً من صدمة الماء البارد في بدء الاستحمام . خامساً — إذا أريد من الاستحمام تنشيط القوى وانعاشها فقط مع تجنب صدمة الماء فيستحسن إذ ذاك أن تكون درجـة حرارة الماء أقل من درجة الهواء الجوي في الصيف بعشرة درجات ، ومساوية لها أو أعلى منها بعشر درجات في الشتاء ، فيغطس المستحم بها فجأة مدة ٥ — ١٠ دقائق ، ثم يفرك جسمه حالاً . وأخيراً لا يرتدي ملابسه إلاّ بعد أن يدفأ جسمه تماماً . وهـذا الاستحمام في فصل الصيف لذيذ ومفيد جداً للجسم ويكسب المرء صحة ونشاطاً وارتياحاً .

* * *

ويمكن القول بوجهٍ عام ان الاستحمام بالماء البارد يقوي العضلات وينبه القوى المنحطة ويلطف أو يخفف حرارة البدن ، كما انه يخفف من سرعة الدم فيفرج القلب والرئتين ويجعل سطح الجسم منيعاً ضد البرد ، خصوصاً بعد فركه وتجفيفه جيـداً فيتجدد نشاطه ، ولذا يكتسب الجسم بالحمام البارد القوة والمناعة ضد النزلات والرشوحات والالتهابات المختلفة . أما من حيث مساوئه واضراره فالشخص الضعيف الجسم قد يرتعش من جراء ملامسة جسمه للماء البارد . واذا كانت الأعصاب ضعيفة خيف من الاستحمام بالماء البارد أن يشل المخ وان يبلد قوة التفكير خصوصاً في فصل الشتاء. كذلك قد يكون له أثر سيء في القلب اذا بلغ الانسان

أواسط العمر (فوق الاربعين) ، وخصوصاً الذين عندهم استعداد للغشي Syncope ، أو عند المصابين بالنزوف المعوية والتهاب البريطون .

أما فائدة الحمامات الباردة في الامراض المعدية والحموية ، والتي منها في الدرجة الأولى الحمَّى التيفية ، فغير منكورة . وطريقة براند Brandt في مكافحة هذه الحمَّى كما يلي : يعطى حماماً للمصاب درجته ٢٠ مئوية لمدة ١٥ دقيقة وذلك كل ثلاث ساعات مرة واحدة عندما تبلغ أو تتعدى درجة الحرارة في الشرج ٣٩ مئوية . ويستحسن ، قبل أخذ الحمام ، رش وجه المريض وصدره بماء أبرد من ماء الحمام المراد استعماله له تخفيفاً لتأثير صدمة الماء البارد . وينبَّه جيداً في الوقت نفسه لحالة المريض فيما اذا تحدث لهُ قشعريرة عند دخوله الحمام البارد ، أو اذا تتلون وجنتاه أو شفتاه بلون أزرق بنفسجي . ففي هذه الحالة يجب اخراجه حالاً من الماء البارد وتدليكه بالكحول او الكولونية الى أن تعود للجسم حرارته الطبيعية ثم ينشف جيداً بفوطة نظيفة ويلبس ملابسه ، أو يلف في ملاية السرير أو البطانية ، ويعطى فنجاناً من أي منقوع دافىء مثل الزيزفون أو الشاي أو القهوة أو ليمونادة أوقدح من الخمر .

غير أن استعمال الحمامات الباردة حسب طريقة براند غير مقبولة من أغلب المرضى بالنظر لبرودة الماء التي تفاجىء الجسم . ولذلك يستحسن اللجوء الى حمام مبرد تدريجاً ، فيحضَّر أولاً حمام درجة ٢٨ مئوية ، وبعد دقيقتين أو أربع دقائق يبرد ماؤه تدريجيًّا الى أن يصير بدرجة ٢٣ ، ثم ٢٢ ثم ٢٠ مئوية .

٤ — الاستحمام بماء البحر والبحيرات : هو أفضل أنواع الحمامات للأقوياء وأشداء البنية لأنه يجري في الهواء الطلق المشبع أوزوناً منشطاً من البحر ، ثم ان المستحم يكون مطلق الحرية في السباحة بمياه البحر ويستفيد جدًّا من هذه الرياضة البدنية . عدا ذلك فالأملاح التي في ماء البحر تكسب البدن قوة ونشاطاً وانتعاشاً بامتصاص الجلد لها ، هذا فضلاً عن لمس الأمواج التي تعمل على تنبيه الحواس والأعصاب . وهو من صنف الاستحمام بالماء البارد من حيث أن درجة حرارة الماء فيه بفصل الصيف تتراوح بين ١٧ و ٢٥ مئوية ، وكلما ازدادت برودة الماء يكون مفعول الاستحمام مقويًّا .

زد على ذلك لحمام ماء البحر من شأنه أن يساعد على الهضم ، ويفتح شهية الطعام ويقوي أعضاء الهضم والامتصاص فيساعد الجسم بذلك على التخلص من المواد غير الصالحة التي هي أولى أسباب الضعف والمرض ، وهكذا قل عن فائدته في تحسين الدورة الدموية . فالجلد يحتوي على شبكة مهمة جدًّا من الأوعية الدموية التي تحتوي بدورها أحياناً على $\frac{٣}{١٠}$ من مجموع الدم ، وهذا المقدار يطرأ عليه زيادة أو نقصان بحسب درجة حرارة الماء . فاذا كان هـذا الماء بارداً فأوعية الجلد تفرغ قسماً من الدم الموجود فيها . واذا كان حارًّا فالأوعية نفسها تمتلىء بالدم — ومن هذا نستدل ما لتأثير درجة حرارة الماء في الدورة الدموية العامة وفي التبادلات العضوية أيضاً بسبب هـذا الانقباض والارتخاء ، ولذلك سمي الجلد بحق « القلب المساعد » .

وهنالك أيضاً فائدة من الاستحمام بماء البحر بصفته مهيـج لافراز الغدد الجلدية ، فهذه الغدد تفرز ، عدا الحوامض الدهنية والماء ، كثير من المواد السامة المتولدة من وظائف الجسم فبقدر ما يتقوى الجلد بصفته عضواً للافراز يكون تنظيف الجسم أحسن ، ومتى عرفنا أن تأثير الماء في الجسم يهيـج الافراز ويطرد نفايات البدن ، أدركنا حينئذٍ ما للاستحمام في هذه الحالة من الأهمية والفائدة الـكبرى .

أما مدة السبـح بماء البحر فتختلف من دقيقتين أو ثلاث دقائق عند الضعفاء الى عشر دقائق أو أكثر عند الأقوياء وأشدّاء البنية ، وهذا منوط بحالة المستحم الصحية فيما اذا كان ضعيف البنيـة أو قويها ، معتاداً قبلاً على الاستحمام أو بالعكس . وبقدر ما يكون المستحم قويـًّا نشيطاً ومعتاداً على الاستحمام بماء البحر يمكنه البقاء مدة أطول في الماء والعكس بالعكس . ومهما يكن من الأمر فلا يجوز للضعفاء السبح في ماء البحر للمرة الأولى تجنباً للرعشة أو الصدمة التي تحدث أحياناً عند الغطس ، بل الأنسب أن يُـبدأ بالاغتسال بماء البحر في البيت فاتراً أو بارداً . فاذا زادت قوة المستحم سار الى البحر واغتسل واستحم فيه . هذا من جهة . ومن جهة أخرى لا يُـسمح للاطفال السبـح بماء البحر إلاَّ إذا بلغوا السابعة من عمرهم ، كما أنه لا يسمح أيضاً للذين بلغوا الخامسة والخمسين من العمر فما فوق السبـح بماء البحر الاَّ اذا كانوا معتادين عليه وبنيتهم قوية . وأحسن الفصول للاستحمام

بماء البحر هو من آخر الربيع إلى أواسط الخريف أو آخره . أما الزمان الموافق لهذا الاستحمام فهو الصباح قبل الفطور (للأقوياء) ، وبعده للضعفاء ، ويكون ذلك قبل الطعام وليس بعده مباشرةً ، أي أن يكون قد مضى على تناول الطعام ساعتين ونصف حتى يبدأ بالاستحمام ، ثم ينشف الجسم جيداً بعد ذلك بمنشفة خشنة الى أن يحمر الجلد ويدفأ كل الجسد .

ومن القواعد الصحية الأخرى للاستحمام بماء البحر (أو البحيرات) هو تأثيره الفعال عند ذوي الأمزجة اللمفاوية ، والمصابين بفقر الدم وسوء الهضم والاضطرابات المعدية على أنواعها ، فيكون لهم والحالة هذه مقوياً منشطاً ومصلحاً بشرط ألاَّ يكون مكثهم طويلاً في الماء ، وأن يعملوا كثيراً من الحركة والرياضة العضلية .

أما الحالات الصحية التي يحظر فيها الاستحمام بماء البحر فهي :

١ — عند المصابين بالسل الرئوي مع وجود حمى أو عدمها مهما كانت درجة المرض عند المصاب .

٢ — عند المصابين بضعف القلب أو أمراضه أي كان نوعها .

٣ — في أمراض الكلى والرثية (الروماتزم) والنقرس .

٤ — عند ضعيفي البنية والمصابين بتصلب الشرايين وأمراض الجهاز التنفسي .

٥ — عند الشيوخ والأطفال الصغار قبل السن الثالثة .

٦ — في الأمراض الجلدية الحادة والمزمنة ، وفي أمراض العيون والآذان .

٧ — خلال مدة الطمث عند النساء ، كذا في أوقات الحمل اذا كنَّ غير معتادات عليه سابقاً .

٨ — عند بعض المصابين بأمراض الاعصاب أو بضعفها كالنوراستنيا مثلاً ، أما عند البعض الآخر فيكون بالعكس مفيداً لهم ، ولذا تجب مشورة الطبيب في هذا الأمر والاسترشاد برأيه .

بيروت الدكتور عبده رزق

الاب أنستاس ماري الكرملي

لقد غمر الأسى تلك القلوب التي تحنو على اللغة العربية بانطفاء مصباح ذلك الروح الذي ظلّ يرسل عليها من ضيائه ما ينير زواياها ، ويكشف عن معالمها ، وأشعل في الجوانح ذلك اللهيب من الحزن لانطواء هذه الحياة التي جادت بمذخور قواها وأنفقت ممحة زهرة حياتها في القيام على خدمتها ، والذود عنها ، والعمل على حفظها ، ودراسة كثير من أصولها وبحث مشتقاتها ، حتى غدت مرجعاً موثوقاً باطلاعه ، وإلمامه في أصول اللغة ، ومشتقاتها ، وبيان تلك الوشائج التي تربط بعض الكلمات العربية بنظائرها في اللغات القديمة ، وبعث كثير من دفائنها ، ونشر ما استتر من جواهرها ، ثم أخذ يمدها بأقوى الأسباب فوق ما يخرجه من كتب بتلك الأبحاث المتنوعة ، الناضجة ، التي كانت تتجاوب بها المجلات الأدبية في أنحاء العالم العربي حاملة اليه ثمرات جهد متواصل ، وعبقرية فذة ، ثم أخذ يصدر مجلته كأنما ضاقت بجهوده وناءت بمحصوله الصحافة والكتب ، فأراد أن يخفف من عبئهما بهذه المجلة .

* * *

والواقع أن هذا الرجل قد قدم للعربية من المنن ما تعجز عنه الجماعات ، فقد احتلّ حبه لهذه اللغة ، وشغفه بها ، كل مشاعر نفسه ، وعواطف قلبه ، فهي مجال نشاطه ، ونجوى ضميره ، وموضع عنايته .

وحسب هذه اللغة أن تظفر بهذه الجهود التي تتجلى مظاهرها في هذا الولع في البحث ، والتنقيب ، كما تتجلى في الدأب ، والكد ، وراء المخطوطات النادرة ، فإذا ما أسعده الحظ ببعض هذه التحف ، إنثنى بها وهو لا يكاد يقف سروره عند حدٍّ ، فيسعى به حفيًّا ، ليطالعه في شوق ، ويستوعبه في لذة ، وقد كان له عناية خاصّة بوضع

الفهارس المنظمة لكتبه ، وبراعة فيها ، وهذه إحدى حسنات الغرب التي عادت على اللغة باليمن ، ولعله كان الوحيد فيما أعلم في العالم العربي في تفرده ونبوغه في هذه الناحية ، وقد سمعت منه أنه وضع معجماً كبيراً ! ولا يزال عنده مخطوطاً ، فهل ينشط المجمع اللغوي بالإستيلاء على هذه البحوث ، ونشرها تعميماً للفائدة بها . وضناً بهذا الجهد ، وتلك الأعوام التي بذلت في سبيلها ، وتنظيمها من الضياع ، والنسيان . ومن أولى وأحق من المجمع وكان — الأب — أحد أركانه الأقوياء ، ودعائمه المتينة ، ولست أريد بهذه الكلمة دراسة هذا النابغة ، وتحليل آثاره القيمة ، فلكل هذا وقته ، وأقلامه ، وإنما أريد أن أهدف من وراء هذه الحياة إلى عبرة نستخلصها منها ! وهي الإخلاص فيما يعالجه المرء من شؤون علمية كانت ، أو أدبية ، أو لغوية أو غيرها والتخصص في الناحية التي تبرز مزاياه فيها .

وقد توافرت هاتان الخصلتان في — الأب أنستاس — فقد أرادت بيئته أن تتخذ منه قسيساً مبشراً ، فلم يستجب لهذا إلاّ بمقدار حتى لا يتجنى على مواهبه ، ولا يتحيف عبقريته. ثم عرف موطن قوته ، ومبعث خلوده ، فأخذ يمده بكل ما يقويه ، وينشطه ، ويمده بالحياة. وحسبه هذا الترهب في محرابه العلمي ، وإنقطاعه في ديره للبحث ، ولتأدية ما يمكن أن يؤديه الانسان المخلص من ضروب التعبد العلمي ، وإخلاصه هذا الإخلاص الذي لم يدع فرصة يمكن الاستفادة منها ، واستغلالها لمواهبه وتركها ، فلم يلهو عن مواهبه حتى يلحقها الصدأ ، ويجني عليها الاهمال ، أو يجعل رسالته تحت مشيئة الظروف إن أتاحت لها العمل عمل و إلاّ جارت عليها الحوادث ، بل قد فرغ من كل شيء ، وإتخذها شغله ، وراحته ، ويقظته ، ونومه ، وهذا اخلاص يعز كثيراً في هذه الأوقات ، وكأنما المقادير شاءت بهذه اللغة ألاّ تحرم من أمثال تلك الجهود ، فوكلت بها هؤلاء الرهبان ، ما رأيت الأب أنستاس مرة إلاّ طافت بذهني هذه الخواطر ، وبرزت لعيني هذه الحقيقة التي لا بدّ منها لكل جهد علمي مثمر ، جزاه الله عن خدمته للغة — القرآن — خير ما يجزى العاملون المخلصون على عملهم وإخلاصهم .

محمد عبد الحليم ابو زيد

هذي هي الاغلال

هل الاغلال في أعناقنا ؟

ثورة جامحة ، تلك التي عصفت من حول كتاب « هـذي هي الأغلال » الذي نشره الأستاذ القصيمي ، فاتهم الرجل في دينـه واتهم في نواياه واتهم في أخـلاقه . جماعات وأفراد ، هبوا جميعاً يقاومون الفـكرة التي بَشّـر بهـا ذلك الـكتاب القيم ، فكرة أن العقلية الدينيـة الجامدة هى المصنع الذي تُـعَـدّ فيه أصفاد العقل ، وتفتل فيه أغلال النفس . نزع الـكتاب نزعة دينية رشيدة ، نزعة المسلمين الذين قال لهم نبيُّـهم « وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة » ، لم يقل القوة المادية ولا القوة المعنوية ، ولا عين نوعاً بنفسه من أنواع القوى ، بل ترك معنى القوة يتحيز في فهم كل جيل من أجيال المسلمين بمقتضى الملابسات التي تقوم من حوله . ومؤلف هذا الـكتاب رجل حر الرأي واسع الفهم نيّـر البصيرة ، إذ قضى بأن القوّة التي يجب أن يعدها المسلمون في هذا الزمن هي « العلم » بالصورة التي فهمها الغرب ، صاحب المدنية السائدة في زماننا هذا . ولا أظنُّ أن مسلماً من المسلمين يجادل في هذا مهما قعدت به الهمة عن تَـفَـهّم روح العصر الذي يعيش فيه .

إلى جانب هؤلاء الذين أصابهم جمود العقلية الدينية ، رجال استطاعوا أن يتحرروا مما أصيب به غيرهم من مرض الرُّجعَى إلى أساطير الأوّلين ، ونزعة الخوف من كل ما ألبسـه الزمن ثوبا القدامة ، ولقد اطلعنا على كلمة لفضيلة الأستاذ الشيـخ حسن القاياتي أبدى فيها رأيه في كتاب « هذي هي الأغلال » تدمغ بعبارات منها ، باطل أولئك الذين حملوا فؤوس الهدم وراحوا يضربون بها الهواء ظانين أنهم يضربون بها في أصول الحق : قال فضيلته :

«معسكر الاصلاح في الشرق ، طليعته ابن خلدون ، باكورة الاجتماعيين ، وجناحاه « السيد الأفغـاني » ، وتلميذاه « محمد عبده » و « السيد الـكواكبي » ، أما قلبه فهو

« السيد القصيمي » نزيل القاهرة اليوم ، نجدي في جبته وقبائه ، وصمادته وعقاله ، ذلك هو السيد القصيمي ، إذا اكتحلت به عيناك لأول التماحته ، قلتَ : زعيم من زعماء العشائر النجدية ، تخلف عن عشيرته ، لبعض طيته ، حتى اذا جلست اليه فأصغيت الى حديثه الطيب أصغيت الى عالم بحر يفهق بعلم ديني واجتماعي .

« تعرَّفت الى العالم النجدي القصيمي ، فجلست اليه مرة ومرة ، ثم شهدته كرة ، فناهيك منه داعية اصلاح ، أكثر ما يلهج به الشرق وأدواؤه ، وجهله ودواؤه .

« لم أقض العجب حين شهدت السيد القصيمي من عربي في شمائله ، ملتف في شملته ، يروعك منه عالم في مدرسته ، كاد يحيلني شرقياً بغيرته الشرقية ، وقد بُنيت مصرياً . أتحفني هذا السيد لعهد متطاول بكتابه « هذي هي الأغلال » ، وأنا ملول مكسال ، فثقلت عليَّ الاحاطة به ، ثقل الهداية على القلوب ، والجد على لعوب ، ثم عدت فألقيت عليه نظرة جعلتني أمنحه إقبالة المحب المجمل ، على الحبيب المقبل ، فاذا الكتاب منهج اصلاح وخطة إفلاح .

« لقد احتوى كتاب السيد القصيمي برنامجاً للتكوين القومي ، قوامه الانحاء على أكثر من هذا الذي أصفه ، فأعدده من عيوب شائنة للشرق ، هي تلك الشاجية الآتية : فَتْرَةُ الشرق عن العلم ، تنويهه بالجهالة ، الزهد المتصنع ، تكرهه للحياة النبيلة ، صور التوكل المكذوب ، سوء التفهم لأسباب العمل ، الى مشابه لهذه النقائص الشرقيات ، بل المخزيات

« حيَّا الله السيد القصيمي ، ما أصدق نظرته الى الحياة ، وأبعد مرماه في الهداية . لقد أذكرني حديثه — وما أكثر ما أذكره — عن فترة الشرق ، بل عن كيده للعلم ، أن إحدى دول الأندلس أو المغرب لعهد قصي ، حظرت تعليم الفلسفة ، وان دولة أخرى هناك حرَّقت كتب مالك بن أنس ، رحمه الله .

أما بغداد حاضرة العلم الاسلامي والمدنية الاسلامية فقد سقيت أرضها الري ، من دم أهل الفقه يقتتلون ، عصبية على العلم ، هذا من شيعة المذهب الفلاني ، وهذا من عدوه !!!

« أجل : لقد أذكرني السيد القصيمي أن مصلح العصر ، مجدد الأزهر ، أستاذنا « محمد عبده » لم يملك إدخال العلوم الاجتماعية الحيوية الى الأزهر ، الا عن رشوة ضخمة من الجوائز

المالية ، دفعها الى اهليه ، فاذا تلك العلوم تدرس فيه وإذا الأزهر يخطر في الحياة العلمية بخطى ضيقة مرة ، فسيحة كرّة ، إلى نهضته المؤذنة اليوم بالنجح «ومايوم حليمة بسر»

«بي الآن أن أصل القراء الكرماء بفقرة اقتطفها من أية ناحية لهذا الكتاب لا أعتمدها ولا أتخيرها بل أفتح الكتاب عنها ، كما يفتح المصحف للتفاؤل ، ليشهد القراء : أي لسان مبين ، وفكر يزين ؟؟؟ ، قال الأستاذ القصيمي :

« شعبان هبطا هذا الكوكب الأرضي الواسع الأرجاء ، فسار شعب تحت ضمان معرفته في قوة لا تكبُو ولا تضل ، فاستغلّ واستقلّ . . . . ، وشعب آخر هبط غريباً في هذا الكوكب ، جاهلاً نواميسه وقوانينه ، فلم يدر كيف يأخذ ولا كيف يدع . . . ، هذان شعبان ، فماذا عسى أن تكون النتيجة لاجتماعهما ، ليس هناك أدنى ريب في أن الغلبة ستكون للعلم والعرفان » .

هذا طراز موجز مما يفيض به الكتاب ، وتلك روح ملائكية السداد والتهدي ، وطراز أعلى من مذاهب العصمة الشعبية والجلال ، بيد أن لي لمحتين رفيقتين ، إلى بعض ما احتواه الكتاب في روحه الصالحة ودعاوته الرابحة ، أولى اللمحتين : أن الأستاذ القصيمي حين استشهد على بعض قضاياه الاجتماعية ، ذهب ينشد أبياتاً من الشعر ممضوغة ، لشعراء العلماء ، أو العلماء الشعراء ، فيقيمها بيِّناتٍ على قضاياه تلك ، وإنما الشعر قضايا خطابية شعرية لقائل فرد ، لا تصف شأناً اجتماعيًّا ، ولا خلقيًّا ، أنشد الكتاب قول الزمخشري ، وهو عالم في تهوين العلم ، وتزين الجهالة ، على مذهب صوفي .

العلم للرحمن جلّ جلاله   وسواه في غمراته يتقمم
ما للتراب وللعلوم وإنما   يسعى ليعلم أنه لا يعلم

وقول ابن أبي الحديد المفسر :

فيك يا أغلوطة الفكر   حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما   ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الأولى زعموا   أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا   خارجٌ عن طاقة البشر

أجل يامولاي ، أليس الله كما وصف الشاعر « أغلوطة الفكر » ، « خارج عن طاقة البشر » فما يستنكر من هذا ؟؟؟

على أن هذه المقالة ، وأشباهاً لها ، مقالات شاعر متخيل ، وقائل متأوِّل ، لا تقيم المذاهب الاجتماعية ، ولا تنهض قضيَّة

أما ثانية اللمحتين ، فتلك أن السيد القصيمي حين شهد تخلف الشرقيين ، بل المسلمين ، عن ركب الحياة ، وموكب السَّراة ، تملكه إياسٌ من انهاضهم الاجتماعي ثانية ، ومن دبيب دم الأحياء في الأشلاء ، وحقّ له ذلك فإن حلية الفاتر المهين ، كحلية الدفين !!!

وقعدة الواهن في بيته   كرقدة الميت في لحده

لست من رأي الاستاذ في طول إياسه من أن تدب الحياة في تجاليد الشرق ، ويعتق من الرِّق ، ولا من رجعى الإباء والثبات ، إلى الآباة ، فان الرُّقيَّ إذا نبت ، ثبت ، وإذا قام ، استدام .

إن النهضة الاجتماعية إذا بدتْ ، سرتْ ، وإن نمتْ ، تأصّلت . كنهضة الفجر في الليل يبدو خيطه بُدُوّ الشعرة البيضاء في اللِّمة السوداء ، حتى إذا استمرّت حيناً ، طغى الصبح ، على الجُنْح !!!

حسن القاياتي

***

وان المقتطف لعلى استعداد ، اتباعاً لما توحي به حرية الرأي ، أن ينشر كل ما يصله من بحوث الأدباء والفقهاء في هذا الكتاب على شرط واحد هو : أن يدور البحث من حول مسائل محددة المبادىء ونظريات علمية او فقهية توجَّه فيها المناقشة توجيهاً سديداً ابتغاء الوصول الى الحق . أما الأقوال المائعة والعبارات التي تتناول وجهات غير محددة من البحث كالقول بأن الكتاب مريب أو انه صنيعة المبشرين او انه دخيلة من دخائل المستعمرين بلا أية بينة من واقع او منطق ، فهذا ولا شك سلاح واهن يزيد الضعفاء ضعفاً ، وينم عن سخيمة يكرهها العلم وينبذها الدين وتأباها الحرية ويمقتها الخلق السوي الذي هو من خلائق الرجال .

مكتبة المقتطف

كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين

للاستاذ سلامه موسى — المطبعة العصرية بمصر

الأستاذ الكبير سلامه موسى — إذا جاز لي أن أصفه بتعبير من تعبيراته — « هجوميّ » التفكير استفزازيّه . فهو يتبنّى كل رأي يحسبه صواباً ولو أجمع العالم على أنه خطأ وهو يجهر بمعتقداته دون أن يحبسها عن الناس كما يعمد سواه .

وكتابه الأخير « كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين » دعوة جريئة إلى التأنق في الحياة وإلى زيادتها عرضاً لا طولاً . فهو يقول : لا تفرط في المأكل والمشرب ، بل تأنّق فيهما واجعل طعامك لذيذاً مزيزاً . ويقول كذلك : تأنّق في ملبسك أيها الشيخ وعاشر الشبان وادأب في ممارساتك الجنسية ودخّن إن كنت قد قضيت شبابك مدخناً ، واحتس الخمر باعتدال إن كنت قد ألفتها في ريّق شبابك ، وسلّ نفسك بالمطالعة واشغل وقتك بالهوايات والاهتمامات ، وروّض جسمك دون أن تحمّله شططاً ، وتجنب النوم وقت القيلولة لأن النوم مظهر من مظاهر الموت ، واتخذ لنفسك ديناً (١) ، وحاذر البدانة والاستكراش ، واعرض نفسك على الطبيب لماماً ، وعوّد ذاكرتك على اليقظة الدائمة ، وتابع الأنباء والأحداث .

ثم يذكر لك الكاتب الكبير طرفاً من حياة شيوخ تقدم بهم العمر ولكنهم احتفظوا بفتوتهم الذهنية ، ونشاطهم البدني وزاد نتاجهم في وقت كان المألوف أن ينضب . فأصبحنا نري سعد زغلول الشائخ يقود مصر كفتى مشتعل الشباب ، وأصبحنا نقرأ مدونة

---

(١) الواقع أن تفسير كلمة دين الذي أورده الاستاذ سلامة موسى لا ينطبق على « الدين » قدر انطباقه على « الفلسفة » .

جستينيان لعبد العزيز فهمي باشا يترجمها دون أن يقعده تقدم السن ، بل رأيناه — على حد قول الأستاذ سلامه — يلقي قنبلة يكون لها دوي في ربوع الشرق بدعوته الى هجرة الحروف العربية وإحلال حروف لاتينية محلها . وأضحينا نقرأ عن جورج برنارد شو وله وهو في التسعين من عمره يسوّد ويؤلف ويسرف في الكتابة كالبحر الزاخر الفياض . وأمامنا ويلز الذي ختم حياته قبل مطلع العام الجديد وكان ثوري التفكير سابقاً لعصره في آرائه ومعتنقاته . وهناك لطفي السيد باشا يتسع وقته وتحتمل صحته لتصريف شؤون السياسة العليا وللعكوف على درس فلسفة أرسطو وبحثها . وماذا نقول في غاندي ذلك الزعيم الهندي الضامر الجسم المترهب في معيشته القانع بالكفاف من الملبس والمطعم ومع ذلك استطاع بسياسة اللين السلبية ، وبصومه الأيام والليالي أن يقلق امبراطورية ماردة ويقض مضجعها.

هذه أمثلة لبعض المعمرين الذين تحدّث عنهم الأستاذ سلامة موسى في كتابه حديثاً طليًّا يجمع بين الايجاز واصابة الهدف المقصود . وليته أضاف الى القائمة اسم الدكتور فارس نمر باشا الذي خلّف وراءه سن التسعين ولا يزال حاد الذاكرة ، حاضر الذهن ، يعي التحولات الفكرية الحديثة في ربوع العالم ويتابع نهضة التفكير في المجتمع الدولي . وليته لم يغفل اسم الأستاذ الكبير خليل ثابت بك وهو وإن كان قد تجاوز السبعين لا يزال فتي البدن والذهن نشيطاً لا يقعده العمل ولا تضنيه الكتابة ، يخط بقلمه كل يوم أكثر من صحيفة كاملة من صحف مصر يعالج فيها شؤون السياسة الدولية كخبير اكتسب من تجربة الحياة ودروسها قدراً وفيراً . بل ليته حدّثنا عن نفسه وكيف استطاع وهو مشرف على الستين أن يحتمل مرارة السجن من بضعة أشهر ويجالد عوامل « التعرية » التي يتعرض لها نزلاء سجون مصر .

وأعتقد أن هذا الكتاب جدير بالقراءة والاستيعاب لا من جانب الشيوخ والمكتهلين ، بل منهم ومن جانب الشباب الفائر المتسربل بالحيوية المتشح بالنضارة لأن شبان اليوم هم شيوخ الغد ، ولأن المصريين بصفة خاصة ما فتئوا يعدون الشيخوخة فترة همود وقعود وتنح عن العمل وما برحوا يغفلون عن وسائل استغلال الحياة الاستغلال النافع المجدي الذي يزيد سنينا حياة ولا يزيد حياتنا سنين .

وديع فلسطين

١ — تراجم إسلامية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

يتمتع هؤلاء الذين يخطون بالإنسانية في سبيل التقدم، ويتركون في حياتها آثاراً باقية، بحظ وافر، من عنايتها، فهي تقف حيالهم موقف الدهش، والإكبار، لما استطاعوا أن يقدموه في مجال الحياة، فيسوقهم ذلك الى التشوف إلى استبطان دخائلهم، ومحاولة اكتشاف ما استسرَّ من حياتهم، وعرض العوامل التي يعتقدون أن لها أثراً في حياتهم، عساهم ينتفعون باحتذاء سلوكهم، والنسج على منوالهم، وارضاء ذلك الهيام المشبوب في الجوانح للوقوف على كل ما احتجب، وإظهار ما خفي، كل هذه الدوافع قد مكنت لهؤلاء أن يحتلوا مكانهم في صدر التاريخ العام ويفوزوا بالحفاوة، والاقبال في التراجم الخاصة، والتاريخ الاسلامي حافل، غاص بهذه الألوان من الشخصيات التي تجد فيها الدراسات التاريخية، والأدبية، والنقدية، والنفسية أوسع ميدان، فلو ظفرت هذه الشخصيات بمن يجلوها ويعرضها عرضاً علميًّا، قويًّا، وفنيًّا موفقاً، لكانت من أمتع، وأنفع الدراسات في مجال التاريخ، والأدب، وقد قام الأستاذ — عبدالله عنان — بتقديم هذه الشخصيات التي تعد من ألمع الشخصيات في التاريخ الإسلامي، وأروع الشخصيات في التاريخ العام، كأجمل ما يوفق المؤرخ المحقق، والأديب الموهوب، إلى إبراز هذه السمات، وتلوين هذه الملامح.

ولا غرو فالأستاذ — عنان — يعد في الطليعة في هذا الضرب في الشرق، فهو واسع الإطلاع، عميق النظر، قوي الحجة، رصين الأسلوب، جذاب العرض، وهو يترجم في هذا السفر لثماني عشرة من أعلام التاريخ الإسلامي، دون تقيد بالعصور أو الدول، وقد حرص على أن تكون نماذج متباينة لشخصيات لها مميزاتها الخاصة، ولا ريب أن شخصيات مثل. هرون الرشيدي، وست الملك الفاطمية. وشجرة الدر، والحسن الصباح، وتيمورلنك، وموسى بن نصير، وعبد الرحمن الناصر، وتبدو بمميزاتها الخاصة نموذج فريدة في التاريخ الاسلامي، تستحق قبل غيرها أن تعرض في أثواب حية، محدثة، وقد

خصّ البعض بالافاضة كتراجم — هرون الرشيد، وشجرة الدر، وعبد الرحمن الناصر، واقتصر بالنسبة للبعض الآخر على تقديم صور موجزة، ولكن شاملة، مركزة، وقد اتبع فيها جميعاً منهج التحقيق التاريخي المدعم بأسانيده، وقد قصد منها جميعاً الى تبيان الخصائص البارزة للشخصيات التي تناولها، وقد قسمها المؤلف الى كتابين: الأول يضم شخصيات الشرق الاسلامي، والثاني يضم تراجم المغرب والاندلس. وقد اتبع الترتيب التاريخي في تبويب الكتابين. فجاء مثال الدراسة القوية، الدقيقة، فهل يفتح لنا هذا الكتاب السبيل الى الاكثار من معالجة هذا النوع القيم من الكتابة؟ وان يمهد الطريق لنتولى بالعناية والدرس ما في تاريخنا من روائع، فيكون فاتحة خير في هذا المجال.

* * *

٢ — دفاع عن العلم

ترجمة الدكتور عثمان أمين

لقد بات العلم وهو في أمس الحاجة إلى مثل هذا الدفاع الذي يرد عنه عادية المغرضين، ويحنو عن شخصيته ذلك الغبار الذي أثاره التعصب الذميم، وروّجه الجهل، حتى غدا وهو محط النقمة، ومبعث البغض، والعلم براء من هذه الصورة البغيضة والمنظر الشائن.

وقد استطاع هذا الدفاع أن يمزق ذلك القناع عن حقيقته ويزيل من الأنفس ذلك الشنآن الذي لا يهدأ، وأن يرينا صورته غير مشوبة، فاذا هي رائعة، حبيبة، وهل هناك من هو جديرٌ بالتبجيل من العلم الذي لا يثير حفيظته شيء مهما كان شأنه، بل هو يتجرد من كل داعية من الدواعي، ويتخلص من كل هوى من الأهواء غير إقباله على تأدية رسالته في إخلاص، وعناية، يستقرىء، ويراقب، ويسجل، ثم يعلن ما هداه اليه مجهوده، ثم لا يحاول أن يفرض نتائجه على أحد، وهو داعية اخوة وعطف بين بني الانسان، بل هو يحاول أن يجمع الكل على مائدة واحدة، متآخية. وقد وفق في تقديم خير ما يمكن أن

يقدم للانسانية في كل ناحية من نواحيها ، ولا يعد هو مسؤول عن هؤلاء الذين استغلوا نشاطه ، وسطوا على مجهوده ، وصيروه مصدر دمار ، ومنبع خراب ، بل المأخوذ بهذه الجريرة ليس هو العلم ذلك الراهب في صومعته بعيداً عن كل مأرب غير مأرب الخدمة الانسانية بل هم الذين أخذوه هذا المأخذ ، فاذا ما تسلل إلى محرابه أناس مدخولي الضمائر ، فلا يجب أن ينوء بذنبهم ، ولا يرجع بأوزارهم ، وهو يستقل بطابعه الخاص عن الفلسفة والدين ، إذ كل منهما يعطي الصورة الأخيرة للعالم ، ويحجز العقل داخل دائرتها ، ولكن العلم لا يتصدّى لذلك ، بل هو يترك الباب مفتوحاً لمن يحاول أن يجول جولته في ميدانه وإن كان هناك من الآفاق ما لم يصل فيها الى رأي فلا يطامن ذلك من عزته ، ما دام يقر بأن باب البحث لم يقفل بعد ، فلعلّ المستقبل يحقق ما لم يحققه الماضي ولا الحاضر ، هذا هو المحور الذي يدور حوله هذا الدفاع . ولكن الابداع كل الابداع في بناء هذا الدفاع ، وتسلسله ، وعمقه ، ونضجه ، فهو محكم المقدمات جيد النتائج ، عميق النظرة ينفذ الى اللباب يغريك بالتمهل لتأخذ أقصى ما يتهيأ لك أخذه بل بالبطء والوقوف في كثير من المواضع ، لأنك لا تكاد تمسك نفسك من الاعجاب ، ولا عقلك من الروعة ، كل شيء في هذا الدفاع يفتح أمام ذهنك عوالم من التفكير ، ويمحو من نفسك تلك الغشاوة التي ألقاها أعداؤه فيها ، ويقرّبه الى قلبك ، بل يعليه في نفسك . وليس هذا الدفاع يخلب نفسك من طريق التأثير العاطفي ، بل هو ينزل من نفسك هذه المنزلة بالحقائق التي يعرضها عليك في هدوء ، وإتزان ، ولا تجد في نفسك ما يرفضها ، ولا في عقلك ما يزيفها ، وأنا لم أقرأ هذا الدفاع في لغته الأصلية ، بل قرأت الترجمة فشعرت بأنني مغمور بجوّ المؤلف ، وشخصيته ، حية ، قوية ، مؤثرة ، ومعانيه واضحة ، وآراؤه جلية ، مما لا يدع ريباً في أن الدكتور — عثمان أمين — قد وفق توفيقاً حسناً في هذه الترجمة

والدكتور عثمان أمين — من شباب النهضة الفكرية المعاصرة المثاليين الذين تأمل النهضة على أيديهم الخير الكثير في هذا الجانب الخصب من الحياة العقلية .

محمد عبد الحليم أبو زيد

روضة الطفل

سلسلة من القصص المشوقة للاطفال — دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

في مصر هيئتان تشرفان على الثقافة إشرافاً فعلياً في كل مرحلة من مراحل التثقيف . الأولى منهما رسمية تقوم على دعائم من السلطة الحكومية ومن خزانة الدولة والمجندين لها من رجالها وهي وزارة المعارف . أما الثانية فهي شعبية تقوم على دعائم من عزيمة القائمين بها ومن تضحياتهم العظيمة في سبيل النهوض بالحركة الثقافية ، ليس في مصر وحدها ، وإنما قد تخطت جهودها وأهدافها حدود مكانها إلى ربوع الشرق العربي ، وأعني بها «دار المعارف للطباعة والنشر» .

فلقد نهضت هذه الدار بالطباعة العربية نهضة مباركة ، فأخرجت خلال مدة زادت عن نصف قرن مؤلفات نفيسة أغنت المكتبة العربية بثروة طائلة . ثم اتجهت منذ عدة أعوام إلى تثقيف النشء ، فأصدرت كتباً في هذه الناحية سدَّت نقصاً كان محسوساً ، وفراغاً كان ملموساً . وقد أفاد من هذه الكتب جيل من الأطفال .

وإلى جانب هذا وذاك عنيت بالثقافة العامة فأخرجت السلسلة الثقافية التي قدمت لقرائها في جميع الأقطار العربية ، في سهولة ويسر ، ألواناً شتى من العلوم والفنون بأقلام خيرة الكتّاب ونعني بها سلسلة « إقرأ » فان كل منصف يقدر لها جميل صنعها في إبراز هذه المجموعة ، ويحس مدى أثرها الكبير من ذلك الاقبال العظيم عليها إقبالاً طغى على ما كان يملأ السوق من فارغ القول .

وقد عادت هذه الدار أخيراً الى الاضطلاع بالمهمة التي كانت قد أخذت نفسها بها ، وهي تقديم ألوان من القصص المشوّقة للاطفال موضوعة على احدث الأساليب الفنية في التربية وهي تهدف في ذلك الى تقوية ملكة التخيل في الطفل وترغيبه في الاطلاع ، وقد عاونها في ذلك طائفة من الأساتذة الاخصائيين . وهي مهمة جليلة ليس هناك من هو أجدر بالقيام بها من تلك الدار التي عرفت بجودة اختيارها واتقان مطبوعاتها .

وقد أخرجت من هذه المجموعة الجديدة كتيّبين مطبوعين بالالوان طبعاً متقناً ، أولهما باسم « الكتكت المدهش » والثاني باسم « أرنبو والكنز » .

وهي آخذة بسبيل اصدار مجموعة أخرى في هذا المضمار بعنوان « أولادنا » تتفق في الغاية التي تهدف اليها هذه الدار مما يسجل لها بالاعجاب والتقدير .

الناطقون بالضاد في أمريكا

١٠١ صفحة من القطع الكبير — المطبعة التجارية بالقدس — الثمن ثلاثون قرشاً

الأستاذ يعقوب العودات المعروف في عالم القلم بالبدوي الملثم من الأدباء الذين غمست ريشتهم بألوان شاعرية ، فهو رقراق اللفظ موسيقي العبارة ، مرهف الحسّ ، دقيق الملاحظة.

وهو إلى جانب ذلك مخلص لعروبته كل الإخلاص ، يحفل بالأدب العربي في كل صقع من أصقاع العربية — ويعني بدراسته عناية فائقة ، وآية إخلاصه أن أضاف الى المكتبة العربية إلى ما أضاف إليها من مؤلفاته السابقة كالقافلة المنسية ، وإسلام نابوليون ، وأطلال جرش ، وما هو آخذ في إخراجه من مؤلفات ككتابه عن فوزي المعلوف ، والشاعر الثائر ولي الدين يكن ، وديك الجن الحمصي . . . أضاف الى كل ذلك كتاباً ممتعاً توفر على نقله من الإنجليزية الى العربية هو كتاب « الناطقون بالضاد في أمريكا » .

ونقله لهذا الكتاب خدمة جليلة قام بها البدوي الملثم إلى أبناء العربية الضاربين في المهجر الأمريكي الشمالي ، والذين بهروا العالم بقوة عزيمتهم ، فقد نقلوا معهم الى هناك نهضة حيوية عجيبة في بابها في كل ناحية من نواحي الحياة : إجتماعية واقتصادية ، وأدبية ، وفنية ،

وكان معهد الشؤون العربية الأميركية في نيويورك قد قام بنشر هذا الكتاب بالانجليزية عام ١٩٤٦ ، فاستهوى المترجم فكرة وأسلوباً ، فعكف على ترجمته رغبةً منه في أن يقف أبناء العربية في بقاعها على أنباء إخوان لهم هجروا أوطانهم — لا عن قلى — ولكن لينشروا أمجادها فكانوا رسل خير وبركة لم تقف بهم الغربة عن بلوغ مطمح ما .

وقد علق البدوي الملثم تعليقات ممتعة على هذا الكتاب فجاءت هذه التعليقات متممة للفائدة من هذا الكتاب .

وإنا إذ نعجب بمجهوده في إخراج هذا الأثر نرجو منه أن تتاح له الفرصة فيكمل هذا الكتاب ببحث عن الناطقين بالضاد في المهجر الاميركي الجنوبي فانهم لا يقلون قوة أثر وعظم مجهود عن إخوانهم في الشمال .

حسن كامل الصيرفي

فهرس الجزء الثانى

من المجلد العاشر بعد المئة

٨٣ مدرسة الاسكندرية وانتقال حركة العلم الى أنطاكية : اسماعيل مظهر
٩٤ عانس (قصيدة) : عدنان مردم بك
٩٥ الأطفال عشراء الوحوش : عوض جندي
١٠٠ برلمان الطبيعة (قصيدة) : شاعر البراري
١٠١ الصراع في العالم العربي : الياس يعقوب
١١٣ تلمس في الظلام : ضياء الدخيلي
١١٥ أم من الجحيم (قصة مترجمة) محمد جلال مظهر
١٢٠ عالم العين — شعر علمي : نقولا الحداد
١٢٢ تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني : محمد بن فتح بدران
١٣٣ الرياضيات في العلوم الطبيعية : فؤاد جميعان
١٣٦ الأثر الدنيوي في الفن القبطي : الدكتور باهور لبيب
١٤١ الاستحمام وفوائده الصحية والطبية : الدكتور عبده رزق
١٤٩ الأب أنستاس ماري الكرملي : محمد عبد الحليم أبو زيد
١٥١ هذي هي الأغلال : حسن القاياتي

١٥٥ مكتبة المقتطف * كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين : وديع فلسطين . تراجم إسلامية . دفاع عن العلم . محمد عبد الحليم أبو زيد . روضة الطفل . الناطقون بالضاد في أمريكا : حسن كامل الصيرفي .

ملحق

من ١ — ٥٢ — لورد كليف : تأليف ماكولي : تعريب عبد المنعم صادق